## الفصل الثاني

## النشاط العقائدي

١-العهد القديم..

٢-التلمود..

٣-العقائد اليهودية..

٤-الفرق اليهودية..

٥-الأعياد اليهودية..

## العهد القديم

سمي بالعهد القديم تمييزا له عن العهد الجديد (الإنجيل) ويتألف (الكتاب المقدس) من العهدين.

والعهد القديم عبارة عن مجموعة أسفار رجال المجمع الأكبر الذي تأسس عقب العودة من السبي البابلي، وكان مؤلفا من مائة وعشرين عضوا ينظرون في شئون الشعب.. ومن أشهر رجاله عزرا ونحميا وزروبابل ودانيال وحجاي وزكريا وملاخي ومردخاي.

ويضم العهد القديم ثلاث مجموعات من الأسفار:

**١-التوراة:**

(بمعنى البشري أو التشريع): وتطلق على الأسفار الخمسة الأولى: تكوين، خروج، لاويين، عدد، تثنية.. وهي تحتوي على تاريخ الإسرائيليين حتى سنة ٢٤٠ ق.م.

تكوين:

يتحدث عن إقامة إسرائيل في مصر نحو مائتي سنة، وميلاد موسى، وتجلي الله له، ودعوته إلى خروج بني إسرائيل من مصر، إلى سيناء، وعناية الرب بالشعب في سيناء، ونزول الوصايا العشر، وقصة عبادة العجل.

لاويين:

يهتم بالتشريع وبخاصة القرابين والطقوس التي تهم الكهنة أبناء لاوي، كما يحدث عن النجاسة والطهارة وأيام العطلة والأعياد.

عدد:

إحصاءات عن الشعب المختار، وأنساب القبائل الإسرائيلية، وتصوير ما حدث في سيناء حتى دخول أرض الميعاد.

تثنية:

تكرار وتتمة لشريعة موسى، إذ يحوي كلماته الأخيرة، وخبر وفاته، ووصيته أن يخلفه يشوع، كما أنه يتضمن توزيع الأراضي على الأسباط.

## ٢-الأنبياء:

ويتحدث عن الأنبياء الأول، والأنبياء المتأخرين.

والقسم الأول يحتوي على ثمانية أسفار، تبحث الستة الأولى في تاريخ إسرائيل بعد وفاة موسى إلى خراب الهيكل وخراب أورشليم (١٤٥١/٥٩٩ ق.م) والاثنان الآخران يتناولان تاريخ إسرائيل حتى العودة من السبي إلى أورشليم، وبناء الهيكل للمرة الثانية.

فهذا القسم يضم سفر يشوع الذي مكن لإسرائيل في أرض كنعان، وسفر القضاة الذين تولوا الأمر بعد يشوع، ثم سفري صموئيل، ويتناولان أيام صموئيل آخر القضاة وعهد شاؤول وداود من الملوك، ثم سفري الملوك، ويتناولان تاريخ الملوك حتى السبي البابلي، ثم سفري أخبار الأيام، وفيهما وثائق وسلالات وروايات منذ بدء الخليقة حتى عهد قورش.

والقسم الثاني من (الأنبياء) يضم أربعة عشر سفرا: أشعيا، وأرميا، وحزقيال، ويوئيل، وعاموس، وعويديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفينا، وحجاي، وزكريا، وملاخي.. وكلها أخبار محدودة، تدور حول جهود هؤلاء الأنبياء، من أجل تقوية عزيمة بني إسرائيل، وبيان سبب غضب الرب عليهم.

## ٣-الكتابات والأشعار:

وتضم الأناشيد والحكم والأمثال والمزامير والقصص وصورا من تاريخ اليهود وفلسفتهم.. وهي اثنا عشر سفرا: مزامير داود، وأمثال

سليمان، وأيوب، ونشيد الإنشاد، وراعوث، وهوشع، ومراثي أرميا، والجامعة واستير، ودانيال، وعزرا، ونحميا.

ومع أن كتاب (العهد القديم) أصبح في المرتبة الثانية بعد التلمود في حياة اليهود، فإنه بالنسبة لبعض الطوائف اليهودية ولجميع المسيحيين، يعد الكتاب الأول قداسة وتشريعا.

وهو ذخيرة إنسانية حية على أي التقديرات، إذ يضم رصيدا هائلا من المعاني الإنسانية والقيم الحضارية.

وقد يضم إلى العهد القديم ما يسمى بالأبوكريفا (أي الأسفار غير الشرعية)، وهي أربعة عشر سفرا موجودة في اللاتينية، نقلا عن الترجمة السبعينية، وأشهرها سفرا المكابيين، وحانوخ، واليوبيل، وحكمة سليمان.

**تدوين العهد القديم:**

من يطالع (العهد القديم) يلتقي بمثل هذه العبارة:

(كان جميع المغنين والمغنيات يندبون يوشيا في مراثيهم إلى اليوم، وجعلوها فريضة على إسرائيل، وها هي مكتوبة في المراثي، وبقية أمور يوشيا ومزاحمة، حسبما هو مكتوب في ناموس الرب، وأموره الأولى والأخيرة ها هي مكتوبة في سفر ملوك إسرائيل ويهوذا) (أخبار الأيام الثاني ٣٥).

مما يشير إلى أن الكتاب ينقل عن كتب أخرى، مثل ما جاء في أخبار الأيام الأول:

(مكتوبة في سفر أخبار صموئيل الرائي، وأخبار ناتان النبي، وأخبار جاد الرائي) (أخبار الأيام الأول ٢٩).

وغير هذه إشارات كثيرة إلى النقل عن كتب أخرى.

فمتى تمت الكتابة أو النقل؟ وبأي لغة كانت الكتابة أو النقل؟ ومن الكاتب أو الناقل؟

يكاد العلماء يجمعون على أن الكتابة بدأت في القرن السادس قبل الميلاد بعد السبي البابلي (٥٨٧ ق.م)، وطال زمن الكتابة والجمع تحت مؤثرات مختلفة إلى القرن الثاني أو الأول قبل الميلاد، بل هناك من يرى أنه استمر بعد ذلك بكثير، ولهذا يرون (أن تفهم الديانة العبرية مستحيل، ما لم تؤخذ بعين الإعتبار، وبشكل مستمر، الديانات والثقافات الأخرى التي نمت وترعرعت في وادي الفرات.. أن الأصول القضائية البابلية، وكذلك الطقوس المعمول بها في المعابد البابلية يجب أن تؤخذ كعوامل حاسمة التأثير على الشرائع العبرانية في الأصول القضائية والطقوس الدينية).

ويلاحظ أنه- بعد أربعمائة وثمانين عاما لخروج بني إسرائيل من أرض مصر- لم يكن يوجد في بيت الرب الذي بناه سليمان إلا لوحا الشهادة اللذان كتبهما الرب بأصبعه لموسى (الملوك الأول ٨و٩) ومع هذا يدعي مدع ان موسى أعد أعدادا خاصا حوالي سنة ١٥٠٠ ق.م. ليبدأ كتابة الأسفار المقدسة التي فيها يسجل تاريخ ٢٥٠٠ سنة خلت من قبله [٩].

ثم إن الكتابة- فيما يتصل بالألواح- يرجح أنها كانت بالمصرية القديمة التي كان يعرفها موسى بحكم نشأته، فالآرامية فاللاتينية فالعربية، إذ أنه (بعد السبي البابلي واندماج اليهود مع البابليين قل استعمال اللغة العبرية [١٠] تدريجيا بين الشعب كلغة قومية، وإن ظلت لغة مقدسة، وأوشكت على الزوال حتى إن اليهود حوالي القرن الثاني ق.م احتاجوا إلى تراجم لقراءة الصلوات وتأدية الطقوس في السبوت والأعياد، وحلت محلها اللغة الآرامية، فظهرت تراجم للعهد القديم في لغات مختلفة أهمها الآرامية، ثم في اليونانية الترجمة السبعينية التي قام بترجمتها في الإسكندرية سبعون

---

(١) القس صموئيل مشرقي- مصادر الكتاب المقدس-ص١٢.
(٢) يلاحظ أن العبرية هي الكنعانية المكتسبة في أرض كنعان مع قدر من المصرية المهاجرة.

عالما في سبعين يوما ثم إلى اليونانية الحديثة، إلى اللاتينية والسريانية، ثم العربية على يد سعديا الفيومي حوالي عام ٩٤٢م هلم جرا) [١١].

فالنقل ثم بلغات مختلفة، ولكل لغة عاداتها ومصطلحاتها، ولكل زمن لغته وموحياتها، ولكل كاتب قدراته ومكوناته النفسية- مما أدى إلى أننا نعثر في أماكن كثيرة من التوراة على آثار حذف ملموس، أو تكرار ممل، أو تناقض واضح.. وثمة عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة في مختلف أدوار تاريخهم الطويل [١٢].

ولقد (استهلك ما دون من كثرة الاستعمال، أو طوحت به السنون في زوايا النسيان، وبعضها قد أفسد عمدا، أو أهلك عرضا، وبعضها ضاع واختفى في فترات الاضطهاد.. هذا كله بالإضافة إلى ما تطلبه وضع العهد القديم من زمن قد امتد إلى نحو ألف عام، كما أن جمعه قد استغرق قرونا عديدة [١٣].

والكهنة كانوا يعتمدون في التدوين والجمع على ما سمعوه، وما تلقاه الخلف عن السلف من أخبار وأساطير، وكثيرا ما كان الكهنة يكتبون ما يجيش بصدورهم أو ما يأملونه، على أنه حقيقة واقعة أو تاريخ سابق، وليس ذلك في الحقيقة إلا تصديقا للخيال، وإلا من الوهم الذي يتخذ في نفس الواهم صورة الحقائق المقررة، ومن ذلك ما جاء في (سفر صموئيل الثاني ٨) من أن داود (ذهب ليرد سلطته عند نهر الفرات).

وإنا لنجد أخيرا من العلماء اليهود أنفسهم من يشكك في كل ما جاء بالعهد القديم، حتى الوصايا العشر.

نشر العالم الفرنسي ريتشارد سيمون سنة ١٦٧٨ كتابا عن (التاريخ النقدي للعهد القديم) نفي فيه نفيا قاطعا نسبة أسفار الشريعة إلى موسى عليه السلام، مؤكدا أنها مجموعة من مدونات مختلفة الأصول، عكفت أجيال

---

(٣) اليهودية واليهودية المسيحية- ص ١٠٢.
(٤) اليهودية واليهود- ص١٣.
(٥) اليهودية واليهود- ص ١٣.

متعاقبة من الأحبار على إعادة تسجيلها باجتهاد وهوى -تحويرا وحذفا وإضافة- حتى يتوفر عليها آخر الأمر عزرا ومريدوه- خلال القرن الرابع قبل الميلاد:- فتستقر على الوجه الذي تطالعنا به اليوم.[١٤]

ويقول باهليل سلفر العالم اليهودي في كتابه (موسى والتوراة الأصيلة): "حتى الوصايا العشر التي يكاد يجمع العلماء على أنها الشيء الوحيد المتبقي من التوراة الأصيلة- لم تكن بكاملها وعلى هيئتها الحالية كالتي أتى بها موسى).

وهناك من يرى شبها كبيرا بينها وبين المعاهدات والوثائق في عهد ملوك الحيثيين.

وهناك من يرى أن نبوءة حزقيال تتجاهل تجاهلا تاما الأسفار الستة الأولى من التوراة، مما يحمل على الاعتقاد بأن هذه الأسفار الستة لم تكن موجودة في زمن حزقيال.. ومما يلفت النظر بشكل خاص أن حزقيال لم يأت البتة على ذكر موسى، الرجل الأكبر لدى اليهود قاطبة، مع ماله من مكانة عظيمة لدى اليهود، وقد قام حزقيال عوضا عن ذلك على وضع الشريعة منفردا.

ونبوءة حزقيال بقيت وحدها صافية غير محرفة من بين باقي كتب العهد القديم، وليس هناك من شك في أن الكثير من الكتب المقدسة اليهودية، الأخرى كانت موجودة، لكنها اندثرت، ككتاب (حروف الرب) و(شريعة الكهنة) و (السجلات الملكية) و (سجلات السلالات).

وكما ذكرت (الموسوعة اليهودية) فقد أعيد وضع كل تاريخ اليهود من وجهة نظر فريسية بعد حزقيال.

كما أعيد وضع جميع الكتب المقدسة السابقة المخالفة للنصوص الجديدة.

---

(٦) حسين ذو الفقار صبري- العربي- نوفمبر سنة ١٩٧٩ ص ١٤٦.

بل هناك من الباحثين والعلماء من يرى أن كتاب (حزقيال) وضع أولا ومن ثم ركبت من حوله الكتب الأخرى، وعلى رأس هؤلاء الباحثين اليهود أنفسهم.

ومع هذا.. فنحن لا نملك- حين الحديث عن العقائد اليهودية- إلا الرجوع إلى ما جاء في العهد القديم الذي بين أيدينا، وفي التوراة بصفة خاصة.. هذه التوراة التي يقول فيها الدكتور صبري جرجس: أنها لا تكاد تزيد عن كونها مجموعة من الخرافات والقصص التي صيغت في جو أسطوري حافل بالإثارة، مجاف للعقل والمنطق، غاص بالمتناقضات، مشبع بالسخف، مفعم بمشاعر العدوان والتعطش إلى الدماء [١٥].

## التلمـــــــــــــــود

يعد التلمود المصدر الثاني للتشريع اليهودي.

وحين يقرأ المرء في هذا الكتاب، وينظر في خفايا المعتقدات اليهودية، ويتعرف على اليهود جيدا- يقف على حقيقة مذهلة، وهي- كما يقول الدكتور جوزيف باركلي- (بعض أقوال التلمود مغال، وبعضها كريه، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثرا غير عادي للجهد الإنساني، وللعقل الإنساني، وللحماقة الإنسانية).. ومع هذا فإنه لا إيمان لليهودي بدون معرفة أحكام التلمود، على أساس أن هذا الكتاب يحتوي على أهم التعاليم التي يحترمها اليهود.

والتلمود- ومعناه التعليم يتكون من:

**المشناه:**

(٧) التراث اليهودي الصهيوني- ص ٥١.

وهي الروايات التي تناقلها الحاخامات اليهود بعد المسيح بمائة وخمسين عاما.

ولفظ (المشناه) يعني الشريعة المكررة، فهي تكرار لشريعة موسى، كما يفيد معنى (المتن) أي الأصل، ويفيد معنى المعرفة.

ومن هذا يتبين أن لموسى شريعتين: مكتوبة وهي التوراة، ومرورية وهي المنشأة.

ولقد أدخل حاخامات بابل وفلسطين الكثير من الزيادات على ما كتبه (يوضاص)، ضمها أحد حاخاماتهم المدعو (يهوذا هاناسي) فيما بين ١٩٠ و ٢٠٠م، أي بعد قرن تقريبا من تدمير تيطس الروماني للهيكل.

وقد كتب الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون تعريفا بالمشنا يقول: (منذ أيام معلمنا موسى حتى حاخامنا المقدس "يهوذا هاناسي" لم يتفق أحد من علماء اليهود على أي عقيدة من العقائد التي كانت تدرس علانية باسم القانون الشفهي، بل كان رئيس محكمة كل جيل أو نبيه، وهكذا ألف كل فرد من العلماء كتابا مماثلا ليستفاد منه، حسب درجة كفاءته، إذا كان متمكنا من القوانين الشفهية، وما توصل إليه السابقون من تفسير التوراة والقرارات التي أعلنت في مختلف الأجيال، وقررتها المحكمة العليا "السنهدرين".. وهكذا تقدم الزمن، حتى أتى حاخامنا المقدس الذي جمع لأول مرة كل ما يتعلق بالسنة والقرارات، وشرح القانون المروي عن موسى معلمنا المأمور به في كل جيل).

وهناك سفر آخر مماثل للمشناه، هو بريثا Braitha الذي يضم تعاليم العلماء الثنائيم الذين جاءوا بعد الحاخام يهوذا هاناسي واضع المشناه.

## الجمارا:

وقد استعصى فهم المشناه على كثير من قرائها اليهود، مما أدى بالحاخامات إلى تدوين شروح وحواشي وزيادات، دعيت جميعها بالجمارا.

وقد أخذ في تدوينه لأول مرة ابنا الحاخام يهوذا هاناسي، وأكلمه الحاخام أبينو، ووضعه في صورته الختامية الحاخام جوسي Jose سنة ٤٩٨م تقريبا، وكان الحاخام جوسي آخر من سمي لدى اليهود بالملقن أو الآمر Director والذين اتبعوه من العلماء أطلق عليهم لقب أصحاب الرأي opinionists حيث لم يعد من اختصاصهم الأمر بشيء. وإنما كانوا يستطيعون الاستنباط من الأحكام السابقة.

وصارت المشنا والجمارا ما يعرف اليوم يالتلمود...

وتعزو الموسوعة اليهودية أهمية التلمود إلى أن انحطاط الحياة الفكرية لدى اليهود- وهو الانحطاط الذي بدأ في القرن السادس عشر- جعل أكثريتهم الساحقة تنظر إليه وكأنه السلطة العليا، حتى أنهم أنزلوا التوراة إلى مرتبة ثانية...

وفي عبارة التلمود ما يؤكد هذه المأساة: (أن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس "المشنا" فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس "الجمارا" فعل أعظم فضيلة).

ويبدو التلمود وكأنه تطبيق لأحكام التوراة، رغم الفروق الكثيرة بينهما، وهو سجل حافل يبين لنا- من خلال مناقشاته وشروحه وأمثلته الكثيرة ورواياته- كيف كان اليهود يحاولون تطبيق الوصايا والفرائض التوراتية في حياتهم اليومية.

ولهذا أصبح التلمود موضع التقديس.. وصار (من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت، دون من احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود، واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل بما جاء في توراة موسى).

ولم يكتف اليهود بهذا العبث، بل انتهوا إلى (أن الله يستشير الحاخامات على الأرض، عندما توجد مسألة معضلة لا يمكن حلها في المساء)!!

ولقد جاء في التلمود: (أن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها، ولو بأمر الله.. وقد وقع الاختلاف بين الرب وعلماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدال تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الربانيين، واضطر الرب أن يعترف بخطئه).

وزعموا (أن الله لا شغل له في الليل غير تعلم التلمود مع الملائكة، ومع ملك الشياطين في مدرسة السماء).

لهذا كان عقاب من خالف تعاليم التلمود بالحرمان الذي نصه:

"بناء على حكم الهنا، اله الآلهة، يحرم فلان بن فلان من المحكمتين، محكمة أول درجة، والمحكمة العليا، ومن القديسيين والملائكة، ومن الجمعيات الكبيرة والصغيرة، ويضار بالقروح والأمراض الخبيثة كلها، ويكون منزله مسكنا للجن، ويكون نجمه مظلما في السماء، ومن المغضوب عليهم، وبطرح جسده للوحوش المفترسة والثعابين، ويفرح أعداؤه ومن يريد له الشر، وتعطى أمواله من الذهب والفضة لغيره، وتسقط تلك الأموال تحت سلطة العدو، ويلعن أولاده حياته، ويكون ملعونا من قم عبد بريرون وعشتار بال وصندلفون وعزرائيل وغسيل وباشتيل، ويسقط ولا يقوم، ويلفظ عن قبور بني إسرائيل، وتعطى امرأته لغيره، ويميل إليها آخرون بعد موته، ويسقط هذا الحرمان على فلان بن فلان ، ويكون من منصبه، أما أنا وبنو إسرائيل فتكون لنا بركة الله وسلامه، آمين.

*ومن هذا العبث يولد تلمودان:

الأولى يسمى التلمود البابلي، وهو ما جمع وشرح في بابل.. وقد كتب في القرن الرابع للميلاد وهو أوسع من الأورشليمي، الذي كتبه حاخامات طبرية ما بين القرنين الثالث والخامس للميلاد.

ويختلف تلمود فلسطين كثيرا عن مثيله البابلي، كما وكيفا، فمادة تلمود فلسطين ثلث ما يحتويه تلمود بابل.

كما أن تلمود فلسطين ينقصه العمق المنطقي، والشمول الجامع، اللذان يمتاز بهما تلمود بابل.

ويرجع هذا إلى أن تلمود بابل ألف في فترة استغرقت قرنا من الزمان في سلام وأمن، أما تلمود فلسطين فجمع على عجل، وفي ظروف غير مساعدة، بسبب اضطهاد الرومان.

وتلمود فلسطين يختلف كذلك في لغته، فلغته عبرية تتخللها عبارات بالآرامية الغربية، أما تلمود بابل فأكثره بالآرامية الشرقية، نسجت فيه عبارات عبرية، ويتضمن كلمات عربية وسريانية ويونانية ولاتينية وكلدانية.

ورغم هذا فهناك أوجه تشابه كثيرة بين التلمودين، لأن مصدرهما واحد، كما أن بابل ليست بعيدة عن فلسطين، فكان علماء البلدين يتبادلون الزيارات ويتبادلون الرأي والمعرفة.

والتلمود بعامة يعد أخطر وثيقة ضد الإنسان والإنسانية، إذ يدعو إلى تحطيم كل العقائد والقيم والحضارات، لإقامة مجتمع عالمي صهيوني يسيطر على كل دول العالم، وبكل الوسائل الممكنة، من الغش والقوة والسلب والخداع والكذب.ز كما يستبيح دماء وأموال الأجناس الأخرى، ويعدهم في منزلة الحيوانات.

ويكفي في شريعة التلمود أن يظهر اليهودي بشكل الحمل الوديع، تقية وخداعا، ثم ليعتقد ما شاء، وليفعل ما شاء (إن الإنسان مهما كان شريرا في الباطن وأصلح ظواهره يخلص)...

وتأكيدا لمبادئ الاستعلاء اليهودي وتفوقهم العنصري على بقية الشعوب، واتخاذ الناس عبيدا، لأنهم الشعب الذي اختاره الله دون بقية الشعوب- فإن أرواح اليهود تتميز عن باقي الأرواح، لأن الأرواح غير اليهودية أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات)، وقد خلق الله الأجنبي على هيئة الإنسان ليكون لائقا بخدمة اليهود، الذين خلقت الدنيا من أجلهم).

وبهذا يكون التجسيم لإنعزالية اليهود، والتأكيد على حقهم في خيرات الأرض، وامتلاكهم ما عند الآخرين، على أساس أنهم البشر الوحيدون على وجه الأرض...

وبناء عليه فقد أصبح لهم الحق في قتل أو استعباد من شاءوا من البشر الآخرين.

- ❖ إن الله لا يغفر ذنبا ليهودي يرد للأممي ماله المفقود.
- ❖ غير مصرح لليهودي أن يقرض الأجنبي إلا بربا.
- ❖ إتيان زوجات الأجانب جائز، لأن المرأة غير الإسرائيلية كبهيمة، ولا عقد مع البهائم.
- ❖ من رأى أحد الأمميين يقع في حفرة لزمه أن يسدها بحجر.
- ❖ مصرح لليهودي أن يغش غير اليهودي ويحلف له أيمانا كاذبة.
- ❖ سرقة مال غير اليهودي استرداد لأموال اليهود من سالبيها.

❖ محرم على اليهودي أن ينجي أحدا من باقي الأمم من هلاك، أو يخرجه من حفرة وقع فيها.

ويحث التلمود جميع اليهود على بذل جهودهم لمنع وصول غير اليهود إلى السلطة، حتى يحين الوقت لتولي اليهود إياها، وإلا فسيظلون مشتتين وأسرى.

**<u>والوصية الجامعة:</u>**

❖ (أهدم كل قائم.. لوث كل طاهر.. أحرق كل أخضر.. كي تنفع يهوديا بفلس).

❖ (اقتلوا جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير، بحد السيف).

❖ (أقتل جميع من في المدن من رجل وامرأة وطفل وشيخ، حتى البقر والغنم والحمير ، بحد السيف).

❖ (اقتل أفضل من قدرت عليه من غير اليهود).

❖ (العن رؤساء الأديان سوى اليهود ثلاث مرات كل يوم).

ويزيد التلمود فيحدد أنواعا من الطهر لا يصل لها اليهودي إلا باستعمال الذبائح البشرية من المسيحيين...

ولهذه العدوانية الصارخة أخفى اليهود هذا الكتاب عن بقية ة عن البشر قرونا طويلة، وبخاصة عن العالم المسيحي، إذ لم يكتف بوصف السيد المسيح بأنه لقيط (مميزير) ابن زنا، بل اختص المسيح وإتباعه بكثير من الألفاظ المهينة الدالة على الكذب والخداع والسحر

والجنون والحمق والتضليل واللؤم والتفاهة والحقارة، بل وصف الإنجيل بأنه (وثيقة الكذب والخداع) وقال عن مريم البتول: أنها امرأة ساقطة مصففة شعور النساء، وهي البغي المتجولة في الأزقة والأسواق.

ومع هذا..

**يقول جنزبرج Ginzberg :**

(أعطى التلمود اليهودي جنة روحية خالدة، يلجأ إليها كيفما شاء، هاربا من العالم الخارجي بكل ما فيه من حقد ومظالم، وعلى صفحات التلمود وجدت أجيال اليهود المتعاقبة إشباعا لأعمق أمانيها الدينية، وكذلك وجد اليهود في التلمود نافذتهم الأسمى استلهاماتهم الفكرية، ورغم أن العالم قد انقطع عن قرونه الماضية فإن التلمود لا يزال بعد التوراة القوة الروحية والأخلاقية المثمرة في الحياة اليهودية).

**ويقول إسرائيل أبراهامز:**

(بقي اليهودي بسبب التلمود، بينما بقي التلمود في اليهودي).

**ويقول د. فابيان:**

(الحياة اليهودية حتى هذا اليوم مؤسسة إلى حد كبير على التعاليم والأسس التلمودية، فطقوسنا وكتاب صلاتنا واحتفالاتنا وقوانين زواجنا، بالإضافة إلى قوانين وأسس أخرى كثيرة مستخرجة مباشرة من التلمود، والتلمود هو الذي تعزى إليه الصفات التي يتميز بها اليهودي، فالاتزان في الشخصية والصدق، ونزعته إلى الحرية الاجتماعية، وعلاقته العائلية الوطيدة، وتعطشه للتعليم، وإمكانياته العقلية، كلها ترجع إلى التلمود، فالحياة اليهودية قد أثرت بهذا الكتاب).

ولقد هوجم التلمود بشدة منذ ظهوره، ففي عام ٥٥٣م –إي بعد الفراغ منه بزمن قصير.. قرر القيصر جستنيان مصادرته، ثم جاءت الكنيسة واقتفت أثر القيصر، واستمرت الكنيسة والدولة تتعقبانه مصادرة وحرقا وإتلافا، قرابة ألف عام، باعتباره أهم مصدر للتعاليم اليهودية التي أدت إلى مقاومة اليهود للسلطة والدين المسيحي، سرا وعلانية.

واشتدت حملات الملوك والبابوات ضد التلمود منذ القرن الثالث عشر، وصدرت الأوامر بإتلاف نسخة في فرنسا من سنة ١٢٤٤م إلى سنة ١٢٧٠م، كما حدث ذلك في انجلترا سنة ٢٩٠م، حتى أمر الملك بطرد اليهود عن البلاد بعد أن اكتشف حيلهم ومكرهم ومقتهم للشعب الإنجليزي المسيحي...

وفي أواخر العصور الوسطى لم يحرق التلمود، واكتفت السلطات الحاكمة والكنيسة بالرقابة على طبعه، فأجازت تداول نسخ معدودة، بعد حذف فصول عديدة.

وقد عقدت مناظرة كبرى بين بابلو كريستياني والحاخام موسى بن نحمان في برشلونة سنة ١٢٦٣م فاقتنع البابا مكيمنت بأخطاء التعاليم التلمودية، فأصدر مرسوما بتحريم قراءة التلمود أو حيازته، ومصادرة ما وجد من نسخة، كما فرض رقابة على طبع نسخ جديدة، وأعاد تنفيذ القانون الذي كان لويس الحادي عشر قد أصدره وهو يلزم اليهود بوضع علامة على أكتافهم للتمييز.

وجرت محاكمة عادلة في عهد الملكة بلانش في ٢٤ يونيو سنة ١٢٤٠م اعترف فيها اليهود بكثير من معتقداتهم الخطيرة، وكان مما ترجم من التلمود في هذه المحاكمة ما يلي:

(أن يسوع الناصري موجود في لجات الجحيم، بين الزفت والقار، وأن أمه مريم أتت به من العسكري بإنذاره بمباشرة الزنا،

وأن الكنائس النصرانية هي بمستوى القاذورات، وأن الواعظين فيها أشبه بالكلاب النابحة، وأن قتل المسيحي من الأمور المأمور بها، وأن العهد مع المسيحي لا يكون عهدا صحيحا يلتزم القيام به، وأن من الواجب أن يلعن يوميا ثلاث مرات رؤساء المذهب النصراني وجميع الملوك الذين يتظاهرون بالعداوة ضد بني إسرائيل)...

ويلاحظ أن التلمود يضم خليطا عجيبا من الأفكار، فهو بالإضافة إلى القوانين الحاخامية المنشودة للسيطرة على رفاق الضمائر والمتشككين من اليهود يضم كل نوع من الفلسفات الموجودة في تلك العصور الغابرة، وهو مستودع لكثير من أحداث التاريخ واكتشافات العلم.

ويقف التلمود من المرأة موقفا متشددا، فهو ينتقصها، ولا يلحقها بالمدارس الدينية، (وأن امرأة أساءت إدارة البيت، أو وجد الرجل امرأة أجمل منها فله الحق في أن يطلقها).

واليهود إلى اليوم يحرمون المرأة من كثير من الحقوق، وفي الدعوات يقول الرجل على مسمع من زوجته وابنته: "حمدا لله يارب أنك لم تخلقني امرأة"!

وفي التلمود أن اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهوديا آخر لا يدخلون الجنة، وإنما (تدخل أرواحهم في الحيوانات والنباتات، ثم تذهب إلى الجحيم، وتعذب عذابا أليما مدة اثني عشر شهرا، ثم تعود ثانية لتدخل في النباتات، ثم في الحيوانات، ثم في الاثنين، حتى ترجع إلى جسد يهودي بعد تطهيرها).. أقرب إلى المعتقدات الهندوسية.

كما أنه يؤكد على أن غير اليهود نجسون، ولا يمكن لليهودي أن يدخلهم بيته، أو يأكل معهم، وليس له أن يعاملهم إلا بغرض

التجارة.. نفس موقف الهندوس من المنبوذين والمسلمين والمسيحيين وغيرهم.

ويزعم التلمود أن سبب نجاسة الأجانب أنهم لم يقوموا على جبل سيناء بعد أن نجس إبليس حواء، أما الإسرائيليون فقد تطهروا وحدهم بالوقوف على هذا الجبل.

ويقول الرابي "مناحم" أن أرواح اليهود مصدرها روح الله، أما باقي الأمم فمصدر أرواحها الروح النجسة والحاخام (أيل) يعد الخارجين على دين اليهود خنازير نجسة تسكن الغابات، ويجب على المرأة أن تعيد الاغتسال إذا رأت عند خروجها من الحمام شيئا نجسا ككلب أو حمار أو جمل أو جنزير أو مجذوم أو أدمي غير يهودي.

ويزخر التلمود بشتى أنواع الخرافات، كالتنجيم وطقوس السحر والشعوذة والعرافة، ويؤكد على أن الأرواح الشريرة والشياطين والجنيات من ذرية آدم، وهؤلاء يطيرون في كل اتجاه، ويعرفون أحوال المستقبل باستراق السمع إلى السماء، وهم يأكلون ويشربون مثل الإنسان، ويكثرون من جنسهم.. وهناك قصص وخرافات لا نهاية لها عن معجزات الحاخامات وأساطير الأفاعي والضفادع والأوز والطيور والأسماك.

ويرى التلمود أن الله خلق آدم ذا وجهين، رجلا من ناحية وامرأة من ناحية، ثم قطعة من النصف، وأن طوله كان يصل القبة الزرقاء، ولكن بعد خطيئته وضع الله يده على رأس آدم وكبسه حتى صار صغيرا، وأنه أتى الخطيئة في الساعة العاشرة بعد خلقه، ثم طرد من الجنة في الساعة الثانية عشرة.

ويذكر التلمود أن هدم الهيكل وتشريد بني إسرائيل كان خطأ ارتكبه الله، واعترف به، وندم عليه، وحاول التكفير عنه بتخصيص ثلاثة أرباع الليل للبكاء والندم.

ويعلل كون الشياطين بلا أجسام ولا ملابس بأن الله خلق الشياطين يوم الجمعة عند الفسق، فأعجله يوم السبت عن أن يتم خلقهم.

**ومن حكم التلمود:**

- ❖ كل من يعلم أمام أساتذته يستحق أن تلدغه حية.
- ❖ الرجل الذي في سلته خبز ليس كالذي لا شيء في سلته.
- ❖ الأجدر بك أن تكون رأس ثعلب من أن تكون ذنب أيد.
- ❖ الخلاعة في بيت مثل دودة في يقطنيه.
- ❖ صديقك له صديق، وصديق صديقك له صديق أيضا، فكن حصفيا.
- ❖ الولد الطالح للأب الصالح كالخل من الخمر.
- ❖ الشباب تاج الورود، والشيخوخة تاج الأشواك.
- ❖ كثيرون يعظون جيدا، ولكنهم لا يعلمون جيدا.
- ❖ عقاب الكاذبين أنه لا يصغى إليهم عندما يصدقون.
- ❖ المغرور عابد وثن.

❖ كل من يتفقد ممتلكاته كل يوم يجد قطعة من النقود.

❖ المنصب لا يشرف الإنسان، الإنسان يشرف المنصب

❖ ليس الاعتبار بما تقوله عن نفسك، ولكن ما يقوله أصدقاؤك عنك.

❖ الصدقة ملح المال.

❖ دع السكران يذهب وحده ليسقط وحده.

❖ الأجدر بك أن تكون ملعونا من أن تصبح من اللاعنين.

❖ هذا العالم مثل منزل على الطريق، والآخرة هي البيت الحقيقي.

❖ الطفل يحب أمه أكثر من أبيه، ولكنه يخاف أباه أكثر من أمه.

❖ البيت الذي لا يفتح بابه للفقير سيفتح الباب للطبيب.

❖ اهبط خطوة عند اختيارك الزوجة، واعل خطوة لاختيار الصديق.

ويضم التلمود ستة أبواب، يدعي كل منها سدر:

١-سدر زراعيم Zeraim أو البذور:

ويتناول قوانين التوراة الزراعية، من الناحيتين الدينية والاجتماعية، ويشرح الأحكام التوراتية المتعلقة بحقوق الفقراء

والكهنة واللاويين في غلال الأرض وحصادها، ويتألف من ١١ سفرا.

٢-سدر ناشيم Nashim أو المرأة:

وفيه قواعد الزواج والطلاق.. وغير ذلك من الأحكام التي تتعلق بالعلاقات الزوجية.. أسفا ه سبعة.

٣-سدر موعيد Moed :

أي الأعياد والمواسم، والمناسبات الدينية، والطقوس والشعائر والفرائض، والقرابين، وكيفية معرفة الأشهر العبرية القمرية إلخ ويقع في ١٢ سفرا.

٤-سدر نزيقين Nezikin أو الأضرار:

يضم القوانين المدنية والجنائية، كما اختص بالحديث عن عصر المسيح ومحاكمته وصلبه وحوارييه، وبالغ في الحط من السيد المسيح. في عشرة أسفار.

٥-سدر قداشيم Kodashim أو المقدسات:

ويتناول التضحيات وشعائرها والأحكام الخاصة بالهيكل والإثم والخطيئة، وكفاراتها.. ويقع في ١١ سفرا.

٦-سدر طهاروت Tohorot أي الطهارة:

ويضم مجموعة من قوانين الطهارة والنجاسة والرجاسة، التي تؤكد الخشية والإجلال.. ويتكون من ١٢ سفرا.

وبالإضافة إلى هذه الأبواب الستة توجد سبع رسائل تلمودية صغيرة:

توراة-ميزوزاه.. تفلين.. تزيت زيت.. أباديم.. كوثيم.. جريم.

وهناك ست رشائل أخرى تضاف إلى طبعات التلمود الجديدة، وهي: أبوث الحاخام ناثان.. سوفريم.. سيماهوث.. كالاح.. درش أرتز إسرائيل.. درش أرتز زونا.

وهناك سفر مماثل للتلمود، يسمى مدارش Midrash وهو يجمع الحكم والقصص والأحكام التي جمعها، أو أختلقها الحاخامات بعد إتمام التلمود، وقد دونت في هذا السفر مخافة أن تضيع.

وتذكر دائرة المعارف اليهودية أنه (أثناء انحطاط الحياة العقلية اليهودية الذي بدأ في القرن السادس عشر كان التلمود يعتبر- على وجه التقريب- السلطة العليا عند أكثرية اليهود، وفي نفس الوقت أصبحت أوروبا الشرقية، خصوصا بولندا، مركز دراسة التلمود، والتوراة أصبح مكانها ثانويا، وكرست المدارس اليهودية جميعا كليا لدراسة التلمود، حتى أن كلمة الدراسة أصبحت مرادفة لكلمة التلمود).

ويقال أن النسخة العبرية الأصيلة من تلمود بابل يجري إعادة طبعها الآن في إسرائيل، ويقوم على ذلك الحاخام آدين شتانيز التز، وسيطبع منها- كما أعلن- ستة آلاف نسخة ستوزع بسعر رمزي (قدره عشرة دولارات لكل جزء من أجزائه الخمسة والثلاثين)- على المشتركين فقط، وقد غطيت الاشتراكات منذ عام ١٩٦٠م.

ويلاحظ أن محاولة طبع التلمود تبدأ بعام ١٤٨٤م، إذ ظهر الفصل الخاص بالبركات في نسونينو بإقليم لومبارديا، وفي عام ١٥٢٠م ألغى البابا (ليو) العاشر الأمر الخاص بمنع طبع التلمود ونشره، فأخذ (دانيال بومبرج) في البندقية ينشره مستعينا بعدد كبير

من العلماء والباحثين، واستطاع إخراجه في ثلاثة أعوام، وتجددت الطبعات متقنة.. وبعد أن ظهرت أربع طبعات له في منتصف القرن السادس عشر وبتصريح من الفاتيكان عادت الحركة المعادية على الظهور، فأصدر البابا بوليوس الثالث في ١٠ أغسطس سنة ١٩٥٣م قرارا بإعدام طبعاته.. لكن ما لبث أن طبع في بولندا وتركيا.. وظهرت في بازل ما بين ١٥٧٨/ ١٥٨١ طبعة أخرى تعتبر المرجع الأصيل الذي تعتمد عليه الطبعات المتأخرة، وأخذت الطبعات المختلفة تتوالى في عدد من الدول الأوروبية، وفي القرن الأخير ظهرت من التلمود سبعون طبعة إلى جانب المختارات التي نشرت مئات المرات.

## العقائـــــــد اليهودية

أ-الإله:

نجد (الكتاب المقدس) يعرض لله في صورة لا تلتقي مع صفاته جل شأنه في القرآن الكريم، إذ هو "الله الذي لا إله إلا هو، الملك، القدوس، السلام، المؤمن، المهيمن، العزيز، الجبار، المتكبر.. الخالق، البارئ، المصور له الأسماء الحسنى، يسبح له ما في السموات والأرض، وهو العزيز الحكيم" (الحشر ٢٣/٢٤). وغيرها من صفات الكمال.. لكنه في (العهد القديم) أقرب إلى الآلهة التي كانت تعبد في الشعوب التي نزلوا بها، أو عبروا...

وإذا كان سفر (تكوين) قد أشار إلى أن (يهوه) قد تجلى لإبراهيم فأمره بالرحيل عن بلاده، وفي أثناء رحلته (قطع الرب مع أبرام ميثاقا، قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) (تكوين ١٥)، وقد اشترط على إبراهيم أن يختص الله وحد بالعبادة، ولا يشرك به أحدا- فإن سفر (خروج) أشار إلى هذه الوحدانية كذلك: (لا يكن لك آلهة أخرى، أمامي.

لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض.

لا تنطق باسم الرب الهك باطلا) (خروج ٢٠).

لكن هذه الوحدانية في سياق ورودها تفيد أن هذا الإله ليس للناس جميعا، إنما هو إله الشعب الإسرائيلي خاصة.

ولأنه إله إسرائيل فلابد من أن يكون قريبا من (الشعب المختار)، حيثما حل، وأينما ارتحل.. ولا يكفي أن يكون هذا القرب بعونه ورعايته، بل بصورته كذلك.

فهو (في وسط هذا الشعب الذين أنت يارب قد ظهرت لهم عينا لعين، وسحابتك واقفة عليهم، وأنت سائر أمامهم بعمود سحاب نهارا، وبعمود نار ليلا) (عدد ١٤).

ولقد (صعد موسى وهرون وناداب وأبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل، ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجليه شبه صنعة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة، ولكنه لم يمد يده إلى أشراف بني إسرائيل، فرأوا الله وأكلوا وشربوا) (خروج ٢٤).

ويتكرر ذكر هذا التجسيم لله في كل كتب (العهد القديم) تقريبا.. مما يثير أكثر من تساؤل.

لقد عاش الإسرائيليون خمسمائة عام في مصر، ومرت بهم دعوة (اخناتون) إلى الوحدانية، وهاجروا بعدها بقليل، وكانت هجرتهم مرتبطة بدعوة موسى إلى التوحيد، فكيف أنهم بمجرد غياب موسى لفترة محدودة يصنعون (عجلا جسدا له خوار) من الذهب الذي جمعوه من مصر، وتنتشر بينهم الأفكار البدائية كالخوف من الشياطين، والاعتقاد في الأرواح الشريرة، ويعبدون الحجارة

والأغنام والأشجار، ويتخذون في بيوتهم أصناما صغيرة يعبدونها، وينتقلون بها من مكان إلى آخر؟!

أيكون ذلك بسبب ما أصابهم في التيه من اضطرابات نفسية، وعناء شديد، أفقدهم الإيمان بالقيم، وربطهم بالخرافات والأوهام؟ أم أن كتاب العهد القديم هم الذين وقعوا تحت تأثير الحضارات من حولهم، فخلطوا بين ما ترسب في وجدان (الشعب) من أوهام، وما أخذوا أنفسهم به من عادات مكتسبة، وما بقي من آثار موسى؟

لكن واقعة (العجل الذهبي) قد تفيد أن الإحساس المادي عند هؤلاء القوم أقوى من الإحساس الروحي، فهم لا يقدرون إلا ما يرونه ويلمسون وجوده، ومن أجل هذا كان التجسيد، وقوى، نتيجة الإحساس بالهوان والذلة عقب الخروج من مصر، وحين التقوا بشعوب أقوى منهم حضارة، ولها آلهة مجسدة.

ويؤكد هذا تلك الصفات التي ألبسوها لإلههم، فهي أحاسيسهم انطبعت على الإله الذي ارتبط بهم، فأصبح هو وهم يعملون من اجل غاية واحدة.. هو إله يعد ويخلف، لا يملك نفسه عند الغضب، يأخذ الابن بجريرة الأب، منتقم شديد الانتقام، لا ينسى أن يثأر حين يقدر، فظ غليظ القلب، يحابي على حساب الآخرين.

هو إذن إله تذهب به الظنون مذاهب، لكنه حصيلة انفعالات نفسية ذات أعماق رهيبة، نتيجة الضياع في التيه أربعين عاما، وحروب وحشية مدمرة لا تبقي ولا تذر، تحت قيادة يشوع ثم داود، وتمزقات قاسية في عهد رحبعام بن سليمان ويربعام، ثم الوقوع تحت وطأة الأشوريين في عهد سرجون، وأخيرا الشتات الكبير والأسر الطويل في عهد نبوخذ نصر.. وقد بدأت كتابة التوراة بعد الأسر.

فإذا وجدنا في (أشعياء) بعد ذلك ملامح الوحدانية الحقة:

(أنت هو الإله وحدك لكل ممالك الأرض، أنت صنعت السموات والأرض.

هكذا يقول الرب خالق السموات وناشرها، باسط الأرض ونتائجها، معطي الشعب عليها نسمة، والساكنين فيها روحا.

أنا الأول، وأنا الآخر، ولا إله غيري.

مصدر النور، وخالق الظلمة، صانع السلام).

إذا وجدنا مثل هذه الصفات فأنا لا نجد تعليلا إلا أنها ثمرة ثقافات مختلفة، أدت إلى مراجعة عقائدية في مرحلة من مراحل حياتهم، أو هي قدر مما بقي من آثار أنبياء بني إسرائيل مختلطا بكثير ما دخل عليهم من ديانات وخرافات الشعوب التي نزلوا بها أو هي قدر مما بقي من آثار أنبياء بني إسرائيل مختلطا بكثير ما دخل عليهم من ديانات وخرافات الشعوب التي نزلوا بها أو أحاطت بهم.

وهذا ما يؤكده صاحب كتاب (التوراة تاريخها وغاياتها) من أنه (لم يكن"يهوه" قبل حزقيال سوى إله آخر من الآلهة القبلية السامية، لا يختلف عنها بشيء، مثله مثل "بعل مردوخ" في بابل، و"ملكارت" في صور، و_(آشور) إله اتى حزقيال فأضفى عليه صفات من الألوهية لم تكن موجودة [١٦].

**ب-الأنبياء:**

وإذا كان هذا هو إله (الشعوب المختار) فما الظن بأنبيائه؟

(٨) التوراة تاريخها وغاياتها ص ٢٧.

إن المتتبع لحال الأنبياء الذين جاء ذكرهم في التوراة لا يكاد يجد نبيا سويا، كلهم أصابته أقلام كتاب (العهد القديم) في خير ما يملك من صفات.

نوح يشرب الخمر فيسكر ويتعرى، وحين يفيق يصب لعنته على (كنعان) حفيده: (ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لإخوته) (تكوين ٩)، لأن الكنعانيين سيكونون أصحاب الأرض التي يطمع فيها الإسرائيليون.

وإبراهيم، أوب الأنبياء، يقف موقف المتاجر بعرض امرأته الجميلة سارة، ويصير له من وراء ذلك (غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأتن وجمال) (تكوين ١٩).

ويعقوب يتآمر على أخيه عيسو، فينال حق البكورية وبركة اسحق، دون أن يدري اسحق النبي بشيء، بمشاركة رفقة زوج النبي، وأم عيسو ويعقوب معا.. (تكوين ٢٧).

وداود يزني بزوجة أوريا الحثي، الجندي المخلص في جيشه، ويعمل على قتل أوريا، حتى لا يرى أن امرأته حملت سفاحا، وحتى تنضم الزوجة إلى حريم داود بعد ذلك وتلد سليمان.. (صموئيل الثاني ١١).

وسليمان يقتل أخاه (أدونيا) وقائد جيوش أبيه (يواب بن صروية)، ويطرد (أبياثار) الكاهن، ليخلص له الحكم، ثم يتزوج (سبعمائة من النساء السيدات، وثلاثمائة من السراري، فأمالت نساؤه قلبه)، وبني لجميع نسائه الغريبات مرتفعات لآلهتهن فكن (يوقدن ويذبحن لآلهتهن)..( الملوك الأول ١١).

هؤلاء هم أعلام أنبياء بني إسرائيل، مجرمون مشركون أيضا، فإذا أضفنا ما كان يفعل قادتهم باسم الرب من خراب ودمار وإبادة كاملة لكل نفس حية، وصلب وتمثيل بالجثث- حرنا في تفسير هذا كله.

- أيكون محاولة للتخفيف من أعباء الجرائم اليهودية على نفسية الأجيال الجديدة؟

- أهو تهوين من أمر الجريمة، وتبرير لارتكابها في حق الشعوب الأخرى؟

- أم هو صورة من التمزق النفسي الذي أصاب اليهود بعد الشتات، فصرنا لا نرى إلا تنبؤات عن غضب الله ووعيده، وعن رجاء في الخلاص مما حاق بهم، وكأنهم يقولون للرب، لقد غفرت لأنبيائك جرائمهم، فلماذا لا تغفر لنا، وما نحن إلا أتباع هؤلاء الأنبياء، ولم تعطنا قدراتهم؟

ومن العجيب أننا نجد القمص صموئيل مشرقي يعلل هذه الجرائم بأنها تؤكد (أن الكمال لله وحده، وأن الجميع زاغوا وفسدوا.. لأننا نعرف أنهم جميعا بشر متناسلون من آدم الساقط، ووارثون منه الطبيعة الفاسدة التي تميل إلى الشر [١٧].

فماذا أبقى هذا القس الكبير لغيره أن يقول؟

ولقد تميز أنبياء بني إسرائيل بحلول روح الله فيهم، إذ تقفز روح الله على النبي كما يقفز الطير الجارح (صموئيل الأول ص ١٠ ي ١٠)، وكان بعض الأنبياء مثل أليشع يجري طقوسا خاصة لاستقبال روح الله، إذ يروي أنه كان يستدعي عازفا على الأوتار ليعزف له بعض الألحان (الملوك الثاني ص ١٨ ي ٢٦)، أو يقف وقفة هادئة (الملوك الأول ص ١٨ ي ٤٢)، وإذا ما حلت الروح بالنبي انطرح أرضا طوال النهار والليل، فاقدا وعيه، وهو في حالة غيبوبة، وقد يظهر في حالة تشبه حالة المجانين (صموئيل الأول ص ١٩ ي ٢٤/١٨)، فمرض شاؤول العقلي اعتبر نبوءة،

(٩) مصادر الكتاب المقدس- ص ١١٩.

والنبي كالمجنون غير مسئول عما مكان إلى آخر مثلا (الملوك الأول ص ١٨ ي ١٢)، وأبان فترة حلول الوحي بالنبي يتفوه بألفاظ وعبارات هامة جدا، يتلقفها الجمهور، لأنها نبوءات تتحدث عن المستقبل، لذلك يحرص القوم على تخليدها.

وكان الأنبياء يتميزون بلبس الفراء والتمنطق بمنطقة من الجلد، كما كانوا يقصون شعورهم قصا خاصا، شأنهم شأن رجال الدين واليسوعي اليوم، وكان النبي الحق في الزواج والتناسل والملكية.

## ج-المسيح المنتظر:

لقد بشر أشعياء ودانيال بمجيء السيد المسيح، لكن الصيغة التي وردت في أشعياء تبدو مقحمة، إذ يقول الرب: (يعطيكم السيد نفسه آية، ها العذراء تحبل وتلد ابنا، وتدعو اسمه عمانوئيل، زبدا وعسلا يأكل متى عرف أن يرفض الشر، ويختار الخير) (أشعياء ٧).

فإذا قلنا أنه يتحدث عن السيد المسيح، كان لنا أن نسأل: كيف تكون (الآية) لقوم يعيشون قبل زمن وجودها بأكثر من سبعة قرون؟ أي دور تلعبه هذه الآية في حياتهم حتى تكون في موضع البشري؟

لكن يبدو أن هذه (البشرى) كانت وسيلة بعث الأمل في النفوس، أو هي من صناعة كتاب المسيحية الذين أكثروا من ترديد هذه (البشرى) في الأناجيل، وبخاصة (متى) الذي يقول: أن ملاك الرب قال ليوسف زوج مريم (ستلد ابنا، وتدعو اسمه يسوع، لأنه يخلص شعبه من خطاياهم، وهذا كله لكي يتم ما قيل من الرب بالنبي القائل: هو ذا العذراء تحبل وتلد ابنا، ويدعون اسمه عمانوئيل، الذي تفسيره الله معنا) (متى ١).

وعلى كل حال فإن هذه البشرى كانت في صالح الكهان للتأثير على النفوس، ولهذا كانت أوصافه- التي هي من أوصاف السيد المسيح في الأناجيل- ملهبة للخيال والشوق، بحيث تظل الجموع متطلعة إليه، ترجو

لقاءه.. فهو إنسان سماوي، كائن معجز، خلقه الله قبل كل الدهور وهو في السماء حتى تحين ساعة إرساله، وستجمع طبيعته بين اللاهوتية والناسوتية، ولابد أن يكون من نسل داود.. وقد تنبأ (ميخا) أنه سيخرج من بيت لحم ويعيد العدالة والحق إلى سائر العالم... (ميخا- ٦/٣/١).

ويمكن القول أن البشرى برسول قادم سنة إلهية لتهيئة النفوس، لكن الاعتراض على العبارة التي صيغت البشرى في طياتها، وبخاصة أن بشري (المسيح المنتظر) لم تظهر إلا في كتابات ما بعد السبي، أشبه بما جاء في عبادة مترا الفارسية التي انتشرت في العالم لمدة تقرب من ستة قرون، من (أن مترا ولدته عذراء في كهف في ٢٥ ديسمبر، وأنه جاب الآفاق يبشر برسالته، وكان حواريوه أثني عشر رجلا، وأنه مات في سبيل البشرية، واحتفل بقيامه من القبر بفرح عظيم، وقد أطلق عليه اسم المخلص، ومما هو جدير بالذكر أن هذا الدين كان قويا إلى القرن الثالث الميلادي)[١٨].

وقول (روبرتسون) هذا يفيد أن (المسيح المنتظر) ما هو إلا ثمرة اتصال بالثقافة الفارسية، وإحساس بالحاجة إلى من يخلص اليهود من أسر البابليين.. ومن أجل هذا فإن أصحاب (المصالح الحقيقية) لم يؤمنوا بالسيد المسيح حين ظهوره، بالرغم من اتفاق الصفات.

وظلت الكتابات اليهودية على حالها تدعو إلى ظهور (المسيح المنتظر) حتى أيامنا هذه، (فاليهود القانطون في حي "مياشعاريم" بالقدس يعتبرون دولة إسرائيل ثمرة "الغطرسة الآثمة"، لأنها قامت على يد نفر من الكافرين الذين حرفوا مشيئة الله بعلمهم، وتطاولوا على وعد الرب- بدلا من انتظار المسيح الموعود، وتدخل الرب بصورة عجائبية فالمسيح المنتظر هو وحده القادر على إقامة الدولة، حيث تكون "مملكة الكهنة والقديسيين").

وهؤلاء سكان (مياشعاريم) يعبرون عن إيمان صادق بما أوحاه الكهان وعمقوه في نفوسهم.

---

(١٠) د.جابر الحيني- في العقائد والأديان- ص ٢٤٩/٢٥٠.

## د-الآخرة والعبث:

من خلال دراسة العهد القديم نجد أنه لم يمس العالم الآخر من قريب أو بعيد، وكأنه قد اكتفى بالعقوبات الشديدة التي تنزل بالمجرمين أو لعله تأسى بديانة اخناتون دون ما سبقها من الديانات المصرية التي كانت تؤمن بالحياة الثانية، لكن كان لإخناتون عذره، فقد كان أغفاله العالم الآخر ضرورة أملتها عليه محاربته للديانات الشعبية التقليدية، حيث يحتل إله الأبدية أوزوريس مكانا رئيسيا، وربما كان يلعب دورا أنشط من أي إله آخر.

وإذا كان دانيال قد أشار إلى يوم البعث، وإلى الحساب والجزاء بقوله (كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الأبدية، وهؤلاء إلى العار، على الازدراء الأبدي) (دانيال ١٢) فهذا دليل على ما أصاب التوراة من تحريف وتزييف، أو قل أنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية، زمن الأسر الطويل، وأبان الاتصال بدولة الفرس في عهد قورش، وهو احتمال يؤكده العيث بالأصل السماوي، ويزكيه قول يوسيفوس المؤرخ اليهودي الفريسي: (أن الفريسيين قد سلموا الشعب وصايا وفرائض تسلموها من الآباء، وليست مما جاء في شريعة موسى).

## هـ-شعب الله المختار[١٩]:

(إله إسرائيل.ز قدوس إسرائيل.. الساكن في بيت إسرائيل شعب الله المختار.. تراث الرب.. أفرزته ملك ميراثا من جميع شعوب الأرض.. اختارك الرب لكي تكون له شعبا خاصا فوق جميع الشعوب الذين على وجه الأرض).

تعبيرات كثيرة تزخر بها أسفار (العهد القديم) تؤكد الرابطة بين (الرب) و (الشعب)، مما يوحي بأن (الشعب) على جميع مستوياته يقف أمام الرب على مستوى واحد، وهذا يخالف الواقع، كما سيتبين بعد.

---

(١١) انظر "شعب صلب الرقبة" من كتاب "هذا الكتاب المقدس" للمؤلف.

ويرجع اختيار الرب لهذا الشعب منذ أخطأ (حام) فلم يغط عورة أبيه (نوح) الذي سكر وتعرى، وغطاه سام ويافث، فلما أفاق قال: ملعون كنعان، عبد العبيد يكون لأخوته)، وقال: مبارك الرب سام، وليكن كنعان عبدا لهم، ليفتح الله ليافث فيسكن في مساكن سام، وليكن كنعان عبدا لهم) (تكوين ٩).

فإذا كان تخوم الكنعاني (من صيدون، حينما تجيء نحو جرار إلى غرفة وحينما تجيء نحو سدوم وعمورة وأدمة وصبوييم إلى لاشع) (تكوين ١٠)- أدركنا لماذا كان الحكم على آل كنعان بالعبودية، ولا ذنب لهم فيما حدث!!

ويمضي كاتب التوراة، فيوقع ميثاقا بين الرب وإبراهيم، (قائلا: لنسلك أعطى هذه الأرض، من نهر مصر إلى النهر الكبير، نهر الفرات) (تكوين ١٥)، أي أن الرب لا يكتفي بلعن كنعان، وأن يكون عبدا لسام، وأن تصبح أرض كنعان ملك أبناء سام، بل يتسع الميثاق حتى يتحقق (حلم صهيون) المدون على جدران الكنيست (من الفرات على النيل).

وبحث (الرب) عن علامة مميزة لهذا (الشعب) من غيره، فاهتدى إلى (الختان) الذي لا يعد) ابتلي بها (نوح) في حالة سكر، فأصابت اللعنة (كنعان).

وكان أن عاهد (الرب) إبراهيم: (بختن منكم كل ذكر.. وأما الذكر (الأغلف الذي لا يختن في لحم غرلته، فتقطع تلك النفس من شعبها) (تكوين ١٣).

ولا يقف الأمر عند هذه العلامة التي لا تبين إلا بعد (التعرية)، فقد طلب الرب من موسى (أن يصنعوا لهم أهدابا في أذيال ثيابهم في أجيالهم، ويجعلوا على هدب الذيل عصابة من اسمانجوني) (عدد ١٥).

وينبغي ملاحظة أن هيرودوت الملقب بأبي التاريخ يخبرنا أن عادة الختان قد مورست منذ زمن طويل في مصر، وثبتت صحة هذا القول بفحص موميات المصريين القدماء، بل حتى من الرسوم الموجودة على جدران المقابر.

ولعل هذه العادة انتشرت بين القبائل التي سكنت شرقي البحر المتوسط، بعدما خضعت هذه البلاد زمنا طويلا للحكم المصري.

هذا إلى أن إبراهيم عاش زمنا في مصر، وتنقل في مناطق كانت خاضعة للحكم المصري، والإسرائيليون عاشوا في مصر زمنا طويلا، وتناسلوا أجيالا عديدة، وأخذوا عن المصريين الكثير من عاداتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، مما يبين أن (الختان) ليس مظهرا يهوديا خاصا، ولهذا ينفي الأستاذ العقاد (أن الإسرائيليين اعتبروه- الختان- علامة لقبيلتهم، تميز الإسرائيلي من غيره، وإنما الصحيح أنهم اعتبروه علامة تسليم لربهم)، مؤكدا ذلك بأن الختان اختصار لعادة الضحية البشرية نشأ مع تقدم الإنسان في الحضارة والمدينة... ففي أقدم العصور كان الفاتح المنتصر يقتل الأسرى قربانا على محراب آلهه، ثم تدرجوا من قتلهم إلى قطع أعضائهم إلى قطع أغلفتهم، وجعلوا ذلك علامة على تسليم الأعداء بالهزيمة، وقد فعل ذلك الإسرائيليون مع أعدائهم في مواقف مختلفة، كما فعله المكابيون مع أعدائهم [٢٠].

لكن ما فعله الإسرائيليون مع شكيم- كما أورد سفر تكوين ٣٤- لم يكن إلا تأكيدا للعلامة المميزة، وان اتخذت وسيلة انتقام.

ثم أن التقرب بقطع الأغلفة- وهي عملية جراحية دقيقة- يكلف الفاتح المنتصر وشهوة الانتقام.

---

(١٢) أبو الأنبياء ص ٢٠٩/٢١٠.

وتدوس العقلية الصهيونية كل الحقائق التاريخية من أجل توثيق نقل ملكية أرض كنعان إلى (الشعب)، ولابد أن يكون التوثيق على أيدي إبراهيم وهاجر وإسماعيل حتى لا يأتي العرب في يوم ويدعون ملكية هذه الأرض.

تقول (التوراة): حين غضبت سارة على هاجر، لم يذهب بها إبراهيم إلى الصحراء الغربية- كما حكي القرآن- "بوادي غير ذي زرع" عند البيت الحرام، بل ذهب بها وبابنها إلى صحراء (فاران) سيناء..

وكان أن (تاهت في برية بئر سبع، ولما فرغ الماء من القربة طرحت الولد تحت إحدى الأشجار.. ورفعت صوتها، وبكت.. وفتح الله عينيها فأبصرت بئر ماء، فذهبت وملأت القربة ماء، وسقت الغلام، وسكن في برية فاران، وأخذت له أمه زوجة من مصر). (تكوين ٢١)، لا من جرهم، ولا من ذرية، (الشعب المختار).

ويستمر التحريف والتضليل، ويصبح (الذبيح) اسحق لا إسماعيل، لأن إسحق أبو يعقوب الذي ينسب إليه الإسرائيليون (تكوين ٢٢).

وحين يكبر إبراهيم ويشيخ يحدث (عبده كبير بيته المستولي على ما كان له) قائلا: (أستحلفك بالرب إله السماء وإله الأرض ألا تأخذ زوجة لابني من بنات الكنعانيين الذين أنا ساكن بينهم، بل إلى أرضي وعشيرتي تذهب وتأخذ زوجة لابني إسحق) (تكوين ٢٤).

وزيادة في الحيطة والحرص على الطهارة والنقاء (أعطي إبراهيم إسحق كل ما كان له- مع أنه ليس بكره- وأما بنو السراري اللواتي كانت لإبراهيم- ومنهن هاجر أم إسماعيل جد العرب- فأعطاهم إبراهيم عطايا، وصرفهم عن إسحق شرقا، إلى أرض المشرق، وهو بعد حي) (تكوين ٢٥)، حتى لا يختلط نسل إسحق بغيره من نسل إبراهيم، أو إسماعيل خاصة.

وحين ماتت سارة اشترى لها أرضا، في أرض الحيثيين، ودفن (إبراهيم إمراته في مغارة حقل المكفيلة أمام ممرا التي هي حبرون، في ارض كنعان) (تكوين ٢٣) حتى يحيط (الشعب) هذه الفترة برعايته وعنايته، فيمتلك كل ما حولها شمالا وجنوبا وشرقا وغربا، على أساس نظرية الأمن الإسرائيلي.

و(كان في الأرض جوع).. وأراد إسحق أن يهاجر، فظهر له الرب، (وقال: لا تنزل إلى أرض مصر، اسكن في الأرض التي أقول لك، تغرب في هذه الأرض فأكون معك، وأفي بالقسم الذي أقسمت لأبيك، إبراهيم وأكثر نسلك كنجوم السماء، وأعطي نسلك جميع هذه البلاد، وتتبارك في نسلك جميع أمم الأرض.. فأقام إسحق في جرار) (تكوين ٢٦).

إذا كان (الرب) قد سمح بعد ذلك ليعقوب بالهجرة إلى مصر في حالة جوع مماثلة، فلم يكن ذلك إلا بعد أن توثقت (الملكية) على يد إسحق، وإلا بعد أن وطد يوسف لأبيه في مصر، وحتى يكون مولد يعقوب في (أرض الميعاد)، لا في أرض التي انصبت على رءوسهم فيها لعنة الفراعنة.

وكما فعل إبراهيم حفاظا على نسل إسحق (دعا إسحق يعقوب، وباركه، وأوصاه، وقال له، لا تأخذ زوجة من بنات كنعان، قم اذهب إلى فدان آرام، إلى بيت بتوئيل أبي أمك، وخذ لنفسك زوجة من هناك، من بنات لابان أخي أمك) (تكوين ٢٨).

وخرج يعقوب من بير سبع ذاهبا نحو حاران، واضطجع في الطريق، فأتاه الرب قائلا: (الأرض التي أنت مضطجع عليها أعطيها لك ولنسلك، ويكون نسلك كتراب الأرض، وتمتد غربا وشرقا وشمالا وجنوبا، ويتبارك فيك وفي نسلك جميع قبائل الأرض) (تكوين ٢٨).

ويضرب الجوع (شعب الله المختار)- الذي كان يبلغ إذ ذاك سبعين نسمة- فلا يجد القوت غلا في مصر..

ويستيقظ المصريون في يوم، وقد أصبحت الثورة والسلطة في أيدي الغرباء.

وتشتد قبضة سفنن رع وكامس وأحمس، فيطرد الهكسوس، ويعرف أصحاب الأرض الدور الاستعماري الذي لعبه الإسرائيليون، فيضيق رمسيس الخناق عليهم حتى يضطروا إلى الخروج، ويعلم منفتاح أنهم سرقوا ذهب مصر وفضتها، فيلاحقهم.

وأمكنهم الإفلات من قبضة فرعون، لكن بعد ما قذف في قلوبهم الرعب، حتى جعلهم يتيهون في الصحراء أربعين عاما لا يقدرون على مواجهة تجربة جديدة، لا يدرون مصيرهم معها.. ولهذا قالوا على لسان الرب، (لا يرد الشعب إلى مصر، الرب قد قال لكم، لا تعودوا ترجعون في هذه الطريق) (تثنية ١٧).

ويحاول موسى أن يبث في نفوسهم الأمل فلم يفلح.

ويصعد موسى الجبل، ويلتقي بربه، ويعود ببشارة (الآن، أن سمعتهم صوتي، وحفظتم عهدي، تكونون لي خاصة، من بين جميع الشعوب فإن لي كل الأرض، وأنتم تكونون لي مملكة كهنة، وأمة مقدسة) (خروج ١٩).

وما داموا قد أصبحوا بمثابة أبناء الله وخلفائه في الأرض، فلابد من أن يحقق الله لهم ما وعد من (أرض تفيض لبنا وعسلا).

لقد فجر على يدي موسى اثنتي عشرة عينا بعدما استبد بهم العطش، وأغدق عليهم المن والسلوى حين استبد بهم الجوع، أفلا ينصرونهم على (القوم الجبارين)؟

وكان أن حارب الله معهم، أرسل هيبته أمامهم (وأزعج جميع الشعوب الذين تأتي عليهم) وأرسل أمامهم الزنابير، فطردوا الحوريين والكنعانيين والحيثيين..تحت قيادة يشوع.. وتملكتهم شهوة التسلط والتملك والانتقام والغدر والحرق والتدمير.

وحين شاخ يشوع (دعا جميع إسرائيل وشيوخه ورؤسائه وقضاته وعرفاءه وقال لهم: أنا قد شخت، تقدمت بي الأيام، وأنتم قد رأيتم كل ما عمل الرب إلهكم بجميع أولئك الشعوب من أجلكم، لأن الرب إلهكم هو المحارب عنكم، انظروا، قد قسمت لكم بالقرعة هؤلاء الشعوب الباقين ملكا حسب أسباطهم، من الأردن، وجميع الشعوب التي قرضتها، والبحر العظيم نحو غروب الشمس، الرب إلهكم هو ينفيهم من أماكن ويطردهم من قدامكم، فتملكون أرضهم، كما كلمكم الرب إلهكم، فتشددوا جدا، لتحفظوا وتعملوا كل المكتوب في سفر شريعة موسى..

ولكن إذا رجعتم ولصقتم ببقية هؤلاء الشعوب، أولئك الباقيين معكم، وصاهرتموهم ودخلتم إليهم وهم إليكم. فاعلموا يقينا أن الرب لا يعود يطرد أولئك الشعوب من أمامكم، فيكونوا لكم فخا وشركا وسوطا على جوانبكم، وشوكا في أعينكم، حتى تبيدوا تلك الأرض الصالحة التي أعطاكم إياها الرب إلهكم) (يشوع ٢٣).

ويأتي سليمان بن داود فيؤكد الرابطة بين الرب وإسرائيل، قائلا: (لأنهم شعبك وميراثك الذين أخرجت من مصر، من وسط كور الحديد، لتكون عيناك مفتوحتين نحو تضرع عبدك وتضرع شعبك إسرائيل، فتصغي إليهم في كل ما يدعونك، لأنك أنت أفرزتهم لك ميراثا من جميع شعوب الأرض)، (الملوك الأول ٨).

ونسي سليمان أنه تزوج- كما جاء في (الملوك الأول ١١) بحوالي سبعمائة امرأة من شعوب أخرى، وتسري بثلاثمائة، كما نسي أن بني إسرائيل لم يعتزلوا الشعوب الأخرى عزلة كاملة، وبخاصة خلال الهزائم التي لحقت بهم، وخلال التطواف الطويل، والإقامة في أكناف شعوب كثيرة.. فإذا انتهى بهم الأمر إلى الشتات الكبير على أيدي البابليين والأشوريين، وتمزق مجتمعهم كل ممزق، بين بلاد ذات حضارة وأصالة وقوة شكيمة- اختلط الزرع المقدس، وهذا ما يؤكده جوستاف لوبون ولومبروزو، بل يعلنه سفر عزرا صراحة: (لم ينفصل شعب إسرائيل والكهنة واللاويون من شعوب الأراضي حسب رجاساتهم، من الكنعانيين

والحيثيين والفرزيين واليبوسيين والعمونيين والموابين والمصريين والأموريين، لأنهم اتخذوا من بناتهم لأنفسهم ولبنيهم) (عزرا ٩).

وهذا الإعلان اعتراف من الرؤساء لعزرا الذي أصدر أمرا جديدا لاستنقاذ بقية الدم المقدس، (لا تعطوا بناتكم ولا تأخذوا بناتهم لبنيكم، ولا تطلبوا سلامتهم وخيرهم إلى الأبد، لكي تتشددوا وتأكلوا خير الأرض، وتورثوا بنيكم إياها إلى الأبد) (عزرا ٩).

ولكن الرؤساء في حيرة بالنسبة لما حدث.. ماذا وقد (أكثرنا الذنب في هذا الأمر؟ ووجد بين بني الكهنة من اتخذ نساء غريبة.. ومنهن نساء قد وضعن بنين)؟

والحل أن يقربوا (كبش غنم لأجل إثمهم)!!

ومع هذا تظل دعوى (شعب الله المختار)، على حين ترتفع أصوات كثيرة تقول: أن تاريخ اليهود مختلق على نطاق واسع، اختلقه المتآمرون البابليون- اليهود في أسر بابل- وهدفهم خلق تقاليد قومية لها غاية قائمة بذاتها لدى المنفيين وذريتهم، تفرض عليهم تنظيما باطشا تحت أمرة الشريعة، ومن ثم إضفاء ثوب الدين عليهم، لإخفاء وتبرير غاياتهم الإجرامية ضد العالم، وقد استعار واضعوا المؤامرة الأفكار من مضيفيهم البابليين، ثم أضافوا إليها تقاليدهم القبلية الخاصة بعد تنميتها وتزيينها، ثم أطلقوا لمخيلاتهم الخصبة العنان.

ويفسر هذا أن كل كتب الأنبياء تنبأت بقيام مملكة (يهوه) حيث يسيطر اليهود على شئون العالم (ويرثون الأمم)، إلى حد أن (أشعياء ٢٠/٦٠)يقول: (لا تغرب شمسك من بعد، وقمرك لا ينقص، لأن الرب يكون لك نورا أبديا، وتكون أيام مناحتك قد انقضت، ويكون شعبك كلهم صديقين، وإلى الأبد يرثون الأرض).

وما أتى (دانيال) حتى كان اليهود قد أخذهم الاستنكار والسخط لأن (الوعد) لم يتحقق، فسارع دانيال إلى تهدئتهم، منبئا إياهم أن الرب سيعلمهم في الوقت المناسب متى سيتحقق الوعد وينتهي سخطهم:

(وقال: أني أعلمك بما سيكون في آخر السخط، فإنه يتم في الميعاد المحدود) (دانيال ٨/١٩) فلا تقلقوا يا بني إسرائيل، ولا تتحول مناحتكم إلى سخط لأنه في الوقت المحدد تكون (الضربة التي يضرب بها الرب كل الشعوب الذين تجندوا على أورشليم، لحومهم تذوب وهم واقفون على أقدامهم، وعيونهم تذوب في أوقابها، وألسنتهم تذوب في فمهم (زكريا ١٤/١٢).

إن صلاة اليهود الأكثر تزداد اليوم هي (فليتمجد ويتقدس اسم الرب العظيم في كل العلم الذي خلقه حسب مشيئته، ولتتحقق مملكته أثناء حياتكم، وخلال أيامكم، وأثناء حياة كل بني إسرائيل، بسرعة وبالقريب العاجل آمين).

وهذا الحلم الذي طال أكثر من ثلاثة آلاف عام، هو الذي حرك ويحرك عبقرية هؤلاء القوم إلى تزييف كل شيء.

الدين والتاريخ والضمير والمبادئ والشعارات والمذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

**قال فيلون الفيلسوف اليهودي الذي عاش في القرن الأول الميلادي:**

إن اليهود يكونون شعبا يجاوز حدود الوطن والجنس المحلي، وتصبح معه القومية مفهوما لا يستند إلى الجنس أو الحدود الجغرافية أو نوع الحكومة السياسي، ولكن إلى الدين والوضع الحضاري).

**وقال يهوذا بن غاليف الفيلسوف:**

(إن تشتت الشعب الإسرائيلي يعتبر قرارا ربانيا مدهشا، وضع لإلهام بقية شعوب الأرض).

**وقال هرتزل:**

(إن جنسنا أكثر فاعلية في كل شيء من باقي شعوب الأرض).

وقال فرويد:

(إن اليهود هم الذين أعطوا البشرية الشريعة، وكانوا لها الضمير وأن اليهودية مصدر للطاقة لا يعوض).

وقال ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية السابق:

(أن اليهود لم يكونوا أبدا مثل الشعوب الأخرى، كانوا دائما شيئا مميزا، أكبر من مجرد شعب، وأكبر من مجرد دين، وأكبر من مجرد حضارة، هم كل هؤلاء مجتمعين، ولا توجد هناك جماعة تماثلهم، فتاريخهم شيء مميز خاص).

**وقال بن جوريون:**

(إنني أؤمن بتفوقنا الخلقي والفكري، بحيث يستخدم كنموذج لإصلاح الجنس البشري).

وهذه الأقوال مجرد نموذج للدعاوي المستمرة لتغذية الشعور بالتفوق أو بالأحرى العنصرية، الشعب المختار، بالرغم من أن (واقع تطور علم السلالات الإنسانية أثبت منذ وقت طويل أن اليهود لا يمثلون عنصرا مستقلا، وجاء في إعلان الأجناس والتباينات العرقية الذي أقرته مجموعة من علماء السلالات البشرية البارزين عام ١٩٥١ أن المسلمين واليهود لا

يمثلون أجناسا، شأنهم في ذلك شأن الكاثوليك والبروتستانت، وسكان أيسلندا أو الهند، والشعوب الناطقة بالإنجليزية أو أي لغة أخرى)[٢١].

وسكان إسرائيل اليوم يتكونون من عدة مجموعات:

السابرا، وهم اليهود الذين ولدوا في فلسطين..

والإشكنازي:

اليهود ذوو الأصل الأوروبي واليهود الشرقيون ومن بينهم جزء كبير من السفارديم:

اليهود المنحدرون من بلدان أفريقيا وآسيا، والمجموعتان الأخيرتان لا تمثلان شيئا موحدا من وجهة نظر علم السلالات البشرية، إذ أنهما لم تتخلصا بعد من التقاليد الثقافية والمعيشية لبلدان أقامتها السابقة.. وعلى الرغم من أن المهاجرين من بلدان آسيا وأفريقيا يشكلون ٦٠% من سكان إسرائيل اليهود فإنهم يعانون من التفرقة سواء في المجالات السياسية والثقافية.

وتعمى العيون عن هذا التمزق الداخلي، لتنطلق الألسنة محدثة عن الانتخاب العرقي والسيادة العالمية.

و-الكهنة [٢٢]:

وقد يثير الدهشة أن الرب- في كثير من أسفار التوراة وكتب الأنبياء- يستغل استغلالا قاسيا في سيطرة طبقة، أو في ابتزاز خيرات (الشعب) لصالح سبط من الأسباط (فريضة دهرية).

---

(١٣) البروفيسورة ميليفا مود رجينسكايا- مجلة آفاق عربية- عدد كانون الثاني سنة ١٩٧٧.
(١٤) انظر: "إله من الذهب" من كتاب " هذا الكتاب المقدس" للمؤلف.

ويتخذ (تابوت الرب) الذي هو نصب من الأنصاب، بمثابة شرك، للإيقاع بالشعب المخدوع، بين أنياب ومخالب لا تشبع ولا ترتوي.

فإذا كان (هرون) في عبارة (القرآن) فصيحا شجاعا، وشريكا في أداء الرسالة: "وأخي هرون هو أفصح مني لسانا، فأرسله معي ردءا" (القصص ٣٤).

"اشدد به أزري، وأشركه في أمري" (طه ٣٢/٣١).

فإنه في عبارة (العهد القديم) يهودي، قبل أن يكون ربانيا.

(لما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل، اجتمع الشعب على هرون، وقالوا له: قم اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا موسى الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه، فقال لهم هرون: انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيكم، وائتوني بها، فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم، وأتوا بها إلى هرون، فأخذ ذلك من أيديهم، وصوره بالأزميل، وصنعه عجلا مسبوكا، فقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر، فلما نظر هرون بني مذبحا أمامه، ونادي هرون قال: غدا عيد للرب، فبكروا في الغد، واصعدوا محرقات، وقدوا ذبائح السلامة (خروج ٣٢). طلب الشعب إلها مصنوعا، وكان بوسع هرون أن يجعله من طين أو من خشب أو من نحاس مثلا، لكنه أراده من ذهب، في صورة الإله المصري القديم- قبل عهود الذلة والعبودية في مصر- وصنعه بيده لا بيد أخرى، وبني له مذبحا، وجعل له عيدا، واصعد المحرقات، وقدم الذبائح.

ويلاحظ أن عبادة (العجل) تتكرر وتتجدد في حياة بني إسرائيل.. فقد عمل يربعام عجلي ذهب ليعبدوهما أتباعه في دولة إسرائيل حتى لا يحتاجوا إلى الذهاب إلى الهيكل الذي يقع في دولة يهوذا برئاسة رحبعام (الملوك الأول١٢).

وملك بعشا بن أخيا على جميع إسرائيل، وسار في طريق يربعام، في خطيئته التي جعل بها إسرائيل تخطئ (الملوك الأول١٥) وكذلك فعل عمري، وجاء أخاب بن عمري فتزوج ابنه ملك الصيدونيين، وعبد البعل، وسجد له، وأقام مذبحا (الملوك الأول١٦).

كما يلاحظ أن الإله من ذهب دائما، كأنما هو التعبير عن القوة في عرف اليهود.

ويعود موسى من لقاء الرب.. وحين أبصر هذا الانقلاب الذي أحدثه هرون (حمي غضب موسى، وطرح اللوحين من يديه، وكسرهما في أسفل الجبل، ثم أخذ العجل الذي صنعوا، وأحرقه بالنار، وطحنه حتى ضار ناعما، وذراه على وجه الماء وسقي بني إسرائيل) (خروج ٣٢).

أراد موسى أن يحطم الوثنية، فأجراها في دمائهم ذرات ذهبية تصبح نسيج أبدانهم، وميراث أجيالهم.

ويكافأ هرون من الرب على ما فعل، فيقول الرب لموسى: (قرب إليك هرون أخاك وبنيه معه من بين بني إسرائيل ليكهن لي) (خروج ٢٨).

وتكون أول (تقدمة) للرب- أي لحساب هرون وبنيه الكهنة- من (ذهب وفضة ونحاس واسمانجوني وأرجوان وقرمزوبوص وشعر معزى وجلود كباش محمرة، وجلود تخس، وخشب سنط، وزيت للمنارة، وأطياب لدهن المسحة، وللبخور العطر، وحجارة جزع، وحجارة ترصيع للرداء والصدرة) حتى يصنعوا للرب (مقدسا لأسكن في وسطهم).

هذا مع تعاليم الرب لموسى في أول لقاء (لا تصنعوا معي آلهة فضة، ولا تصنعوا لكم آلهة ذهب، مذبحا من تراب تصنع لي، وتذبح عليه محرقاتك وذبائح سلامتك.. وأن صنعت لي مذبحا من حجارة فلا تبنه منها منحوتة، وإذا رفعت عليها أزميلك تدنسها، ولا تصعد بدرج إلى مذبحي، كيلا تنكشف عورتك عليه) (خروج ٢٠).

صورة مبسطة ارتضاها الرب لعبادته، وحذر من المغالاة في المظاهر، حتى لا تصبح هذه المنشآت أوثانا، ومن ثم اشترط أن تكون من تراب، فإذا استخدمت الحجارة لا تكون منحوتة، بل بصورتها الطبيعية، لم يستخدم معها أزميل، وإلا تدنست، لأنها ستكون سبيلا إلى الإعجاب، فالتقدير، فالإجلال فالوثنية، فتنكشف عورة المتقرب إلى (الرب).

ومع هذا فإن الرب يضع أمام موسى رسما تفصيليا للمقدس في صورة مشروع هندسي معد للتنفيذ:

(بحسب ما أنا أريك من مثال المسكن ومثال جميع آنيته هكذا تصنعونه).

(فيصنعون تابوتا من خشب السنط، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقي، من داخل ومن خارج تغشيه، وتضع عليه إكليلا من ذهب حواليه، وتشبك له أربع حلقات من ذهب، وتجعلها على قوائمه الأربع، على جانب الواحد حلقتان، وعلى جانبه الثاني حلقتان، وتصنع عصوية من خشب السنط، وتغشيهما بذهب، وتدخل العصوين في الحلقات على جانبي التابوت، ليحمل التابوت بهما، تبقى العصوان في حلقات التابوت، لا تنزعان منها، وتضع في التابوت الشهادة التي أعطيك).

نلاحظ من هذا الوصف المطول أن التابوت لا يخرج عن صندوق فيه لوحا الشهادة، وقاية لهما.. وكان بوسع (الرب) أن يؤكد على صيانة اللوحين، وعلى شعبه المختار أن يختار الطريقة التي تتناسب مع ظروف حياتهم، كأن تحفظ التعاليم وترتل، أو تكتب منها نسخ مختلفة، حتى يكون عهد الطباعة، فتطبع آلاف النسخ أو ملا يينها.

لكن (الكهنة) أرادوا شيئا، أو صنما [٢٣]، يلتف حوله الشعب، أو أرادوا حقل تجارب لمعرفة إمكانيات الشعب وقدرته على الحركة داخل اقتصاديات الشعوب المستغلة.

لهذا لزم أن (تبقى العصوان في حلقات التابوت، لا تنزعان منها) رمزا للحركة المستمرة.

(وتصنع غطاء من ذهب نقي، طوله ذراعان ونصف، وعرضه ذراع ونصف، وتصنع كروبين من ذهب، صنعة خراطة، تصنعهما على طرفي الغطاء... ويكون الكروبان باسطين أجنحتهما على فوق، مظللين بأجنحتهما على الغطاء. ووجهاهما كل واحد إلى الآخر).

ومن وصف التابوت والغطاء نجد ان الرب مهتم بأن يكون الإكليل والحلقات والغطاء والكروبان من ذهب نقي، لأن حديث الرب بعد ذلك سيكون (من على الغطاء بين الكروبين)، فلابد وأن يكون (العرش) ذهبيا، حتى يتناسب ومكانته (العلية)!!

ثم يمضي في وصف المائدة والمنارة التي هي (من ذهب نقي، عمل الخراطة) حتى ليحار القارئ :

من أين هذا الذهب كله،وقد جمعه هرون في العجل الذهبي الذي أحرقه موسى فصار رمادا فشرابا؟ وإذا كان الله قد صنع صورة لهذا كله، فلماذا لم يقدمها هدية إلى شعبه المختار، ويعفيه من هذا الابتزاز الذهبي الرهيب [٢٤]؟

لكن يبدو أن سياسية (الرب) مستقبلية، فهو يضع أسس المذاهب الاقتصادية التي ستنبثق في صورة إلهام من العقلية اليهودية.. فتركيز

---

(١٥) يقول الدكتور فؤاد حسنين علي: وظل الإسرائيليون زمنا طويلا يقدسون التابوت، ويستخدمونه مجبلة للخير.

(١٦) يقول الدكتور فؤاد حسنين علي: في نصوص قديمة لم يرد ذكر لهذه الطبقة الذهبية أو الحلقات أو القوائم. ص ٥٩ اليهودية، واليهودية المسيحية.

الثروة في يد (اللاويين) يعني سيطرة الطبقة، أو السياسة الرأسمالية، وأن تجتمع الثروة في يد (المشرعين) يعني عدم الملكية الفردية، أو السياسة الشيوعية، وتتجلى السياسة الاشتراكية فيما سنعرضه بعد بناء (المسكن) من ألوان الضرائب التي تثقل كاهل الشعب.

ويمضي في وصف المسكن فلم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وحدد مقاييسها ومادتها، وطريقة صنعها، وارتباطها بغيرها.. ولم يكتف بهذا، بل صنع بيتا في الجبل، لينقل موسى صورة على مثاله: (كما أظهر لك في الجبل هكذا تصنعونه).

وزاد الرب فدعا (بصلئيل بن أوري بن حور من سبط يهوذا باسمه، وملأته من روح الله بالحكمة والفهم والمعرفة وكل صنعة، لاختراع مخترعات، ليعمل في الذهب والفضة والنحاس، ونقش حجارة للترصيع ونجارة الخشب، ليعمل في كل صنعة، وهأنذا جعلت هولياب بن أخيساماك من سبط دان، وفي قلب كل حكيم القلب جعلت حكمة، ليصنعوا كل ما أمرتك) (خروج ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٣١).

ويلاحظ أن هذا البيت صمم على أساس إمكانية نقله مع هذا (الشعب) الذي لم يستقر به المقام بع، وتبعا للأحداث المريرة والحروب التي خاضها لم يكن بمستطاع أن يجدد البناء.

يقول الدكتور فؤاد حسنين على: وجاء في الخبر الصادق أن داود فكر في إقامة معبد ليهوه في عاصمة ملكه وعاصمة أسرته أورشليم، حتى يكون هذا المعبد عاملا من عوامل اتحاد الأمة وجمع شمل البلاد، ألا أن معارضة بعض المحافظين من رجال الدين، وعلى رأسهم النبي ناثان عرقل تنفيذ الفكرة (صموئيل الثاني- ص٧) [٢٥].

(١٧) اليهودية، واليهودية المسيحية ص ٦٠

فلما كان عهد سليمان حيث (لا يوجد خصم ولا حادثة شر)، واتسعت إمكانيات (الشعب) بأموال اغتنموها، ومزارع أبادوا أصحابها.. تهيأ لسليمان بناء البيت، فسخر ثلاثين ألف رجل يساعدون عبيد (حيرام) ملك (صور) في قطع أخشاب الأرز والسرو، وثمانين ألفا يقطعون حجارة كريمة مربعة في الجبل وسبعين ألفا يحملون الأخشاب والحجارة، (ما عدل رؤساء الوكلاء لسليمان الذين على العمل ثلاثة آلاف وثلاثمائة المتسلطين على الشعب العاملين العمل) واجتمع بناءو حيرام وبناءو سليمان والجبليون (وهيئوا الأخشاب والحجارة لبناء البيت).. وعلى صورة بيت الرب الذي أشرف على بنائه موسى، أعاد سليمان بناء البيت، لكن مع غمكانيات باهظة التكاليف، وعلى أساس أن يكون البيت ثابت الدعائم في أورشليم (الملوك الأول ٨/٥).

(ومقابل خدمات حيرام قدم سليمان لصور كثيرة من الحبوب والزيت، كما تنازل عن جزء من مملكته لصور) [٢٦].

وخرب نبوخذ نصر ما بني سليمان، وقضي على وجود إسرائيل في أرض كنعان سنة ٥٨٧ق.م. ثم استولى قورش ملك فارس على بابل، وفك أسر بني إسرائيل فاخذ الرب (حزقيال)، وصعد به على جبل عال جدا، و (إذا برجل منظره كمنظر النحاس، وبيده خيط كتان، وقصبة القياس، وهو واقف بالباب، فقال لي الرجل: يا ابن آدم، انظر بعينيك، واسمع بأذنيك، واجعل قلبك إلى كل ما أريك لأنه لأجل إرادتك أتى بك إلى هنا، أخبر بيت إسرائيل بكل ما ترى).

ومضى به الرجل بقيس السور خارج البيت، ويرسم أبوابه، ورواق الباب، وغرفات الباب، ثم أتى إلى الدار الخارجية، ومخادعها، وأبوابها، وغرفاتها وكواها، وقببها، ونخليها، ثم الدار الداخلية، وغرفاتها، وأروقة أبوابها وموائدها، ومخادعها، والهيكل، وعضائده، وقوائمه، والبيت،

---

(١٨) المصدر السابق- ص ٦١.

وغرفاته، ومخادعه، وكواه، وعتباته، وأساطينه، وكروبيمه، ونخليه، والمذبح بكل تفاصيلاته.

واشترط أن تكون (المخادع العليا أقصر، لأن الأساطين أكلت من هذه من أسافل البناء، ومن أواسطه، لها ثلاث طبقات، ولم يكن لها أعمدة كأعمدة الدور، لذلك تضيق من الأسافل، ومن اللأواسط من الأرض).

ويلاحظ أن بيت (حزقيال) أكبر كثيرا مما بني سليمان، فبيت سليمان (طوله ستون ذراعا، وعرضه عشرون ذراعا)، على حين أن سور بيت حزقيال بلغ خمسمائة قصبة طولا وعرضا، و (قصبة القياس ست أذرع طولا بالذراع وشبرا).

كما يبدو اهتمام (الرب) ببيت (حزقيال) إذ اتخذ له من البيت مقاما (يا ابن آدم.. هذا مكان كرسي، ومكان باطن قدمي، حيث أسكن وسط بني إسرائيل إلى الأبد) (حزقيال ٤٠/٤٣).

وإذا كان الرب قد اهتم ببيته هذا الاهتمام، فإن عنايته بالقوامين عليه، وبخدامه تبدو واضحة من خلال الأوصاف التي تتمثل فيهم، والملابس التي يتحلون بها، والحقوق التي كفلها لهم.

وفي هذا يقول الرب لهرون: (إذا كان رجل من نسلك، في أجيالهم، فيه عيب، فلا يتقدم ليقرب خبز آلهة، لا رجل أعمى، ولا أعرج ولا أفطس، ولا زوائدي، ولا رجل فيه كسر أو كسر يد، ولا أحدب، ولا أكثم، ولا من في عينه بياض، ولا أجرب، ولا أكلف، ولا مرضوض الخصي، لئلا يدنس مقدسي) (لاويين ٢١).

وأوصى موسى أن (أصنع ثيابا مقدسة لهرون أخيك، للمسجد والبهاء) وهذه الثياب التي يصنعها (حكماء القلوب الذين ملأتهم روح حكمة... صدرة، ورداء، وجبة، وقميص مخرم، وعمامة، ومنطقة).

ويمضي في وصف هذه الملابس بدقة أبرع مما فعل في وصف البيت.

ولم ينسى الرب أن يذكر ملابس بني هرون من أقمصة، ومناطق، وقلانس، للمسجد والبهاء..ولكنه سكت عن وصفها لتأخذ نفس صفات ملابس أبيهم، وبخاصة أنه اتبع ذكر ملابس الأبناء بقوله: (وتلبس هرون أخاك إياها، وبنيه معه، وتمسحهم وتملأ أياديهم، وتقدمهم ليكهنوا لي، وتصنع لهم سراويل من كتان لستر العورة من الحقوقين إلى الفخذين تكون، فتكون على هرون وبنيه عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع، أو عند اقترابهم إلى المذبح للخدمة في القدس، لئلا يحملوا إثما، ويموتوا، فريضة أبدية له، ولنسله من بعده) (خروج ٢٨).

يحار المرء- دون شك- في تكاليف هذه الثياب أكثر من حيرته في أوصافها...

هذا الذهب، وهذه الحجارة الكريمة كلها، ممن؟ من شعب ضائع في الصحراء؟ ولماذا؟ من أجل المثول بين يدي الرب؟ أي رب هذا الذي يستولي على كل ما يملك شعبه، ليصنع ثياب أسرة لا شرف لها إلا الانتساب إلى موسى الرسول؟ ويجعله في بيتها وسائل ترف وخداع، بحسبان أن البيت بيت الرب، ولابد أن يتناسب المكان مع جلاله (سبحانه)، هذا الرب الذي يحتاج إلى أن يلبس من يدخل عليه رمانات وجلاجل تحدث صوتا، حتى لا يفاجأ متلبسا بما لا ينبغي، فيغضب، وتكون النتيجة موت من انكشف له ما لا ينبغي أن يرى؟

وهل يكفي أن تسجل أسماء الأسباط على حجارة الصدرة لينساق الجميع وراء هذا الشرف العظيم؟

هل يظل (الشعب) أسير هذه الترهات أبد الدهر، من أجل مغفرة آثامه، ونيل مرضاة (الرب) ؟

أليس هذا الشعب لا يؤمن بالآخرة، والشريعة المدونة في لوحي التابوت لا تحمل إشارة إلى ثواب أو عقاب بعد الموت؟

ماذا يدفع الشعب إذن إلى أن يجوع ويعرى، من أجل أن يأكل الكهنة القادة في صحاف من الذهب؟

أهو ذلك الوهم الكاذب الذي يربط بين الشعب والرب، والدجل الطويل الذي ألقي في قلوب هؤلاء القوم الرعب من المجهول، والسخط والحقد على كل الشعوب، والأمل الخادع في مملكة الرب تسيطر-في يوم- على كل العالم؟

لننظر في الالتزامات التي فرضها الكهنة على هؤلاء الأشقياء باسم (الرب)، وتكررت بصورة أو بأخرى في معظم الأسفار، حتى تنغرس في قلوبهم، وتسري في دمائهم مسرى اله الذهب الذي سقاهم موسى ترابه.

يتحدث سفر (لاويين) الكهنة عن القرابين من الفطير والرقاق وما هو على الصاج، وفي الطاجن، والفريك المشوي بالنار، والذبائح من البقر والغنم والماعز، ومن أخطأ بسهو، ثم أعلم بخطيئه (يأتي بقربان تيسا من المعز ذكرا صحيحا)، فإن كان من عامة الأرض (يأتي بقربانه عنزا من المعز أنثى صحيحة) (لاويين ٤/١) وبهذا يكفر عنه الكاهن، ويصفح الرب.

و (ذبيحة الإثم كذبيحة الخطية، لها شريعة واحدة، الكاهن الذي يكفر بها تكون له، والكاهن الذي يقرب محرقة إنسان، فجلد المحرقة التي يقربها يكون له، وكل تقدمة خبزت في التنور، وكل ما عمل في طاجن أو على صاج يكون للكاهن الذي يقربه، وكل تقدمة ملتوتة بزيت أو ناشفة تكون لجميع بني هرون، كل إنسان كأخيه...

وهذه شريعة ذبائح السلامة التي يقربها للرب.

إن قربها لأجل الشكر يقرب على ذبيحة الشكر أقراص فطير ملتوتة بزيت ورقاق فطير مدهونة بزيت، ودقيقا مربوكا أقراصا ملتوتة بزيت، مع

أقراص خبز خمير يقرب قربانه على ذبيحة شكر سلامته، ويقرب منه واحدا من كل قربانه رفيعة للرب، يكون للكاهن الذي يرش دم ذبيحة السلامة، ولحم ذبيحة شكر سلامته، يؤكل كل يوم قربانه، لا يبقي منه شيئا إلى الصباح.

وإن كانت ذبيحة قربانه، نذرا أو نافلة، ففي يوم تقريبه ذبيحته تؤكل وفي الغد يؤكل ما فضل منها، أما الفاضل من لحم الذبيحة في اليوم الثالث فيحرق بالنار –إذ لم تكن الثلاجات اخترعت بعد، وحتى لا يذوق- الفقراء طعمها، فتنفتح أفواههم- ويكون الصدر لهرون وبنيه.. فريضة دهرية، تكون هذه لهم في أجيالهم.. (لاويين ١٧).

ولم يكتف رب موسى بهذا، بل أوصى بني إسرائيل بان (قرباني طعامي مع وقائدي رائحة سرور، تحرصون أن تقدموه في وقته.. وقل لهم هذا الوقود الذي تقربون للرب خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة.

وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت، تقدمه مع سكيبة.

وفي رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب ثورين ابني بقر، وكبشا واحدا، وسبعة خراف حولية صحيحة، وثلاثة أعشار من دقيق ملتوت بزيت تقدمه لكل ثور، وعشرين من دقيق ملتوت بزيت تقدمه للكبش الواحد، وعشرا واحدا من دقيق ملتوت بزيت تقدمه لكل خروف، وسكابئهن تكون نصف الهين للثور، وثلث الهين للكبش، وربع الهين للخروف من خمر.

وفي الشهر الأول في اليوم الرابع عشر من الشهر فصح للرب.

وفي اليوم الخامس من هذا الشهر عيد، سبعة أيام يؤكل فطير. (عدد ٢٨) وتستمر المحافل المقدسة والقرابين في أيام محددة واجبة الالتزام على مر العام (عدد ٢٨/٢٩).

هذا بالإضافة إلى (كل عشر الأرض من حبوب الأرض وإثمار الشجر فهو للرب، قدس للرب، وأن فك إنسان بعض عشرة يزيد خمسة عليه، وأما كل عشر للبقر والغنم فكل ما يعبر تحت العصا يكون العاشر قدسا للرب، لا يفحص أجيد هو أم رديء، ولا يبدله، وإن أبدله يكون هو وبديله قدسا لا يفك) (لاويين ٢٧).

ومن الغنائم يؤخذ واحد في المائة زكاة للرب من البقر والغنم والحمير، غير رفيعة للرب، نفس من كل خمسمائة من الناس والبقر والحمير والغنم، فضلا عن كل ما يوجد من أمتعة ذهب (حجولا وأساور وخواتم وأقراطا وقلائد) وغيرها.. (عدد ٣١).

ويؤكد الرب حقوق هرون وأتباعه من هذا كله بتقسيمه بينهم على أساس أن لهرون (من قدس الأقداس، من النار، كل قرابينهم، مع كل تقديماتهم، وكل ذبائح خطاياهم، وكل ذبائح آثامهم التي يردونها لي، قدس أقداس هي لك ولبنيك، في قدس الأقداس تأكلها.. كل ذكر يأكلها.. الرفيعة من عطاياهم.. لك أعطيتها ولبنيك وبناتك فريضة دهرية.

كل دسم الزيت، وكل دسم المسطار والحنطة، أبكارهن التي يعطونها للرب لك أعطيتها.

أبكار كل ما في أرضهم التي يقدمونها للرب لك تكون.. كل طاهر في بيتك يأكلها.. كل محرم في إسرائيل يكون لك.

كل فاتح رحم –البكر- من كل جسد، يقدمونه للرب من الناس، ومن البهائم، يكون لك.. غير أنك تقبل فداء بكر الإنسان وبكر البهيمة النجسة.

جميع رفائع الأقداس.. أعطيتها لك، ولبنيك وبناتك معك، حقا دهريا).. (وأما بنو لاوي أن يرفعوا عشر ما يحصلون عليه لهرون الكاهن (عدد ١٨).

ثم تكون واجبات تدشين المذبح:

(قال الرب لموسى: رئيسا رئيسا في كل يوم يقربون قرابينهم لتدشين المذبح.

أطباق فضة اثنا عشر، ومناضح فضة اثنا عشر، وصحون ذهب اثنا عشر، كل طبق مائة وثلاثون شاقل فضة، وكل منضحة سبعون وجميع فضة الآنية ألفان وأربعمائة على شاقل القدس، وصحون الذهب اثنا عشر مملوءة بخورا، كل صحن عشرة على شاقل القدس، جميع ذهب الصحون مائة وعشرون شاقلا، كل الثيران للمحرقة اثنا عشر ثورا، والكباش اثنا عشر، والخراف الحولية اثنا عشر مع تقدمتها، وتيوس المعز اثنا عشر لذبيحة الخطية، وكل الثيران لذبيحة السلامة أربعة وعشرون ثورا، والكباش ستون، والتيوس ستون، والخراف الحولية ستون، هذا تدشين المذبح بعد مسحه) (عدد ٧ ).

من كل ما سبق تتجلى الأطماع اليهودية التي لا تقف عند حد، مع استغلال كل الوسائل الممكنة، دون تقدير للظروف القاسية التي كان يمر بها الشعب.

ولقد حدث أن (قورح بن بصهار بن قهات بن لاوي، وداثان وأبيرأم ابنا ألياب، وأون بن فالت بنو راوبين) أخذوا (يقاومون موسى مع أناس من بني إسرائيل، مائتين وخمسين رؤساء جماعة) غير راضية عن هذه الإمتيازات، التي فرضت لهرون وبنيه.. (كل الجماعة بأسرها مقدسة، وفي وسطها الرب، فما بالكما ترتفعان على جماعة الرب)؟

ثورة على وضع شاذ، وحتى لا تكون سابقة خطيرة في حياة هذه الجماعة المقدسة، كان لابد من ضربة قاصمة تردع من توسوس له نفسه بأن يفكر فيما فرض "الرب".. فقال موسى لشيوخ إسرائيل: (اعتزلوا عن خيام هؤلاء القوم البغاة، ولا تمسوا شيئا مما لهم، لئلا تهلكوا بجميع خطاياهم).

ثم أعلن (أن مات هؤلاء كموت كل إنسان، وأصابتهم مصيبة كل إنسان، فليس الرب قد أرسلني، ولكن إن ابتدع الرب بدعة، وفتحت الأرض فاها وابتلعتهم، وكل مالهم، فهبطوا أحياء إلى الهاوية، تعلمون أن هؤلاء القوم قد أزدروا بالرب).

(فلما فرغ من التكلم بهذا الكلام، انشقت الأرض التي تحتهم، وفتحت الأرض فاها، وابتعلتهم وبيوتهم، وكل ما كان لقورح من كل الأموال، فنزلوا هم وكل ما كان لهم أحياء إلى الهاوية، وانطبقت عليهم الأرض، فبادوا من بين الجماعة... وخرجت نار من عند الرب، وأكلت المائتين والخمسين رجلا الذين قربوا البخور) (عدد ١٦).

ومع أن تقديم البخور كان بأمر موسى، وفي الطاعة نوع من التوبة، والاستغفار، فإن الرب قد قضى، ولا راد لقضائه، (لكيلا يقترب رجل أجنبي ليس من نسل هرون ليبخر بخورا أمام الرب) (عدد ١٦).

ومن ثم سارت الجماعة في أسر الكهنة والقضاة والأدعياء (أمة متمردة) مغلولة بقيود لا قبل لهم بها.

فلما كان أول تجمع إسرائيلي في أورشليم بعد السبي، تزعم نحميا وصدقيا وسرايا وعزريا ويرميا وفشحور وأمريا وملكيا، وغيرهم من الكهنة.. جموع الشعب (في قسم وحلف) أن يسيروا في شريعة الله، وأن يلتزموا- ولم تستقر الحياة بهم بعد- بهذه الفرائض الحائرة:

(أقمنا على أنفسنا فرائض أن نجعل على أنفسنا ثلث شاقل كل سنة لخدمة بيت الهنا، لخبز الوجوه، والتقدمة الدائمة، والمحرقة الدائمة، والسبوت، والأهلة، والمواسم، والأقداس، وذبائح الخطية، للتكفير عن إسرائيل، ولكل عمل بيت الهنا، وألقينا قرعا على قربان الحطب بين الكهنة واللاويين والشعب لإدخاله إلى بيت الهنا، حسب بيوت آبائنا، في أوقات معينة سنة فسنة، لأجل إحراقه على مذبح الرب الهنا، كما هو مكتوب في الشريعة، ولإدخال باكورات أرضنا، وباكورات ثمر كل شجرة، سنة فسنة

إلى بيت الرب، وأبكاربنينا وبهائمنا، كما هو مكتوب في الشريعة، وأبكار بقرنا وغنمنا، لإحضارها إلى البيت الهنا، إلى الكهنة الخادمين في بيت الهنا، وأن نأتي بأوائل عجيننا ورفائعنا وأثمار كل شجرة من الخمر والزيت إلى الكهنة، إلى مخادع بيت الهنا، وبعشر أرضنا إلى اللاويين، اللاويون هم الذين يعشرون في جميع مدن فلاحتنا) (نحميا ١٠).

وتستمر هذه الأوضاع الشاذة حتى نجد لعاموس ما يشبه الثورة على الكهنة والأغنياء، إذ يقول: (من أجل أنكم تدسون المسكين، وتأخذون منه هدية قمح، بنيتم بيوتا من حجارة منحوتة، ولا تسكنون فيها، وغرستم كروما شهية، ولا تشربون خمرها، لأنني علمت أن ذنوبكم كثيرة، وخطاياكم وافرة، أيها المضايقون البار، الآخذون الرشوة الصادون البائسين عن الباب).. (عاموس٥).

ولا تلبث أن تمضي صرخة عاموس.. بلا صدى!!

**ز-الشريعة [٢٧]:**

تقول الوصايا:

- ❖ (أكرم أباك وأمك، لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك.
- ❖ لا تقتل.. لا تزن.. لا تسرق.
- ❖ لا تشهد على قريبك شهادة زور.
- ❖ لا تشته بيت قريبك.
- ❖ لا تشته امرأة قريبك، ولا عبده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك.

---

(١٩) انظر: "شريعة سماوية.. ولكن" من كتاب "هذا الكتاب المقدس" للمؤلف.

❖ أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك.. لا تصنع عملا ما أنت وابنك وعبدك وأمتك وبهيمتك ونزيلك الذي داخل أبوابك).. (خروج ٢٠).

نلاحظ جانب الخير في هذه الوصايا، لكنه ليس الخير المطلق، لأن ربط النهي بالقرابة، يوحي بإباحة المنهي عنه مع غير الأقرباء.. ثم إن التوقف عن العمل يوم السبت مرده أن الله خلق الخلق في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع، ولكن أي أيام هذه، وهل كان زمان الإنسان قبل أن يكون الإنسان؟ وهل ثم دليل على أن يوم السبت هو السابع؟ وهل كلمة (سبت) في غير العبرية والعربية، ولم يكن موسى يعرف إحداهما؟ وأين السبت في أيام (الأسبوع) العشرة عند الصينيين؟ ثم ما علة (الاستراحة) في اليوم السابع؟ والله- سبحانه- لا يمكن أن يوصف بالتعب "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، وما مسنا من لغوب" (سورة ق ٣٨).. أليس اللغوب من صفات المخلوق لا الخالق؟

وإذا كان إكرام الوالدين حقا واجبا، فهل التفريط في هذا الواجب يوجب القتل (من ضرب أباه أو أمه يقتل قتلا.. ومن شتم أباه أو أمه يقتل قتلا) (خروج ٢١).

ليس من سبيل إلى الندم والتوبة والمغفرة؟ ألا تضع محكمة العدل السماوية في اعتبارها العوامل النفسية التي تثور بالابن فيخطئ، وتدور بالأب فيعفو؟!

هل من العدل السماوي أن تكون الشريعة لصالح فريق دون فريق (للأجنبي تقرض بربا، ولكن لأخيك لا تقرض بربا، لكي يباركك الرب) (تثنية ٢٣).

هل تحل بركة الرب على من يستغل حاجة المسلمين؟

وما ذنب ابن الزني وغير الإسرائيلي حتى يحرم من خدمة الرب (لا يدخل ابن زنى في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر.. لا يدخل عموني ولا موابي في جماعة الرب، حتى الجيل العاشر) (تثنية ٢٣).

وكيف للرب أن يقول: (لا تضهد الغريب ولا تضايقه) (خروج ٢٢).. ثم يعود فيقول: (لا تأكل جثة ما، تعطيها للغريب الذي في أبوابك فيأكلها، أو يبيعها لأجنبي، لأنك شعبة مقدس)؟!

هل من القداسة المتاجرة في جثث الموتى، والعمل على قتل الآخرين من أجل دراهم معدودة؟

**-ومع هذا فإن تعاليم موسى تحمل- إلى اليوم- قيما إنسانية راقية، أثبتها بترتيب ورودها:**

- ❖ لا تسئ إلى أرملة ولا يتيم (خروج ٢٢).
- ❖ لا تقبل خبرا كاذبا، ولا تضع يدك مع المنافق، لتكون شاهد ظلم، لا تتسع الكثيرين إلى فعل الشر، ولا تجب في دعوى، مائلا وراء الكثيرين للتحريف، ولا تحاب مع المسكين في دعواه، إذا صادفت ثور عدوك أو حماره شاردا ترده إليه، إذا رأيت حمار مبغضيك واقعا تحت حمله وعدلت عن حله فلابد أن تحل معه (خروج ٢٣).
- ❖ لا تبت أجرة أجيرك عندك إلى الغد (لاويين ١٩).
- ❖ لا تشتم الأصم، وقدام الأعمى لا تجعل معثرة (لاويين ١٩).
- ❖ لا ترتكبوا جورا في القضاء، لا تأخذوا بوجه مسكين، ولا تحترم وجه كبير، بالعدل تحكم لقريبك، لا تسع في الوشاية بين شعبك..

❖ لا تغبض أخاك في قليلك، ولا تنتقم ولا تحقد على أبناء شعبك (لاويين ١٩).

❖ لا يكن متاع رجل على امرأة، ولا يلبس رجل ثوب امرأة (لاويين ١٩).

❖ لا تحرث على ثور وحمارمعا (تثنية ٢٢).

❖ لا تكم الثور في دراسة (تثنية ٢٢).

**-وتضع (التوراة) أسسا صالحة للتعامل الإنساني، بحيث تساعد على تحقيق العدل، وعلى انس تتل الأحقاد والضغائن:**

❖ -لا يقوم شاهد واحد على إنسان في ذنب ما، أو خطية ما، من جميع الخطايا التي يخطئ بها، على فم شاهدين، أو على فم ثلاثة شهود يوم الأمر (كثنية ١٩).

❖ -إن فحص القضاة جيدا، وإذا الشاهد كاذب.. فافعلوا به كما كان نوي أن يفعل بأخيه (تثنية ٢٣).

❖ -إذا أقرضت صاحبك قرضا ما، فلا تدخل بيته لكي ترتهن رهنا منه، في الخارج تقف والرجل الذي تقرضه يخرج إليك الرهن إلى الخارج (تثنية ٢٤).

❖ -إذا ارتهنت ثوب صاحبك ، فإلى غروب الشمس رده إليه، لأنه وحده غطاؤه (خروج ٢٢).

❖ -لا تأخذ رشوة، لأن الرشوة تعمي المبصرين، وتعوج كلام الأبرار (خروج ٢٣).

❖ -لا يكن لك في كيسك أوزان مختلفة، كبيرة وصغيرة، لا يكن لك في بيتك مكاييل مختلفة، كبيرة وصغيرة (تثنية ٢٤).

❖ -إذا حصدت حصيدك في حقلك، ونسيت حزمة في الحقل، فلا ترجع لتأخذها، للغريب واليتيم والأرملة تكون (تثنية ٢٤).

ونجد في الكتابات اليهودية التزامات خاصة بالذبح أشبه بالطقوس الدينية.. إذ يشترط في الذابح أن يكون يهوديا، متمسكا بتعاليم دينه، ليس كفيفا، ولا أصم، ولا أبكم، ولا سكيرا، ولا صغيرا، إلا إذا أثبت أنه كفء للذبح، ولا يجوز للذابح أن يذبح إلا بعد حصوله على ترخيص من الحاخام.

والذبح جائز في أي مكان عدا الأنهار والبحار والأوعية المملوءة ماء والحفر، ويجب أن تكون السكين ذات نصل ضعف زور الطائر أو الحيوان المراد ذبحه، كما يجب أن يكون النصل حادا ولا عيب فيه من خدش أو تلم، وعلى الذابح أن يفحصه بظفره أو طرف أصبعه قبل أن يذبح.

**وعلى الذابح أن يبدأ بتلاوة بركة الذبح:**

(مبارك أنت يارب الهنا ملك العالم، الذي قدستنا بوصاياك، وأوصيتنا بالذبح).

❖ والذبح لا يتم إلا في الزور، في القصبة الهوائية والبلعوم، وفي أول القصبة الهوائية توجد لوزتان، إذا ذبح الذابح بينهما فهذا حلال، على أن يبقى على قليل

بينهما في أعلى الزور، وإذا لم يبق على شيء منهما وذبح فوقهما فالذبيحة محرمة.

❖ وإذا ضغط بالسكين على الزور كما لو أنه يقطع شيئا ما، أو كمن يضرب بسف حرمت الذبيحة.. وقد جرت العادة على تحريم الذبيحة التي تقطع كل رقبتها.

❖ وإذا غطى الريش أو الشعر السكين فالذبيحة محرمة.

❖ وعلى الذابح أن يواري الدم التراب ويباركه: (مبارك أنت يارب، الهنا، ملك العالم، الذي قدستنا بوصاياك، وأوصيتنا على تغطية الدم بالتراب [٢٨].

**-وقد قدمت (التوراة) صورا من العقوبات المادية، يمكن أن تكون وسيلة إلى حماية الحقوق:**

❖ إذا رعي إنسان حقلا أو كرما، وسرح مواشيه فرعت في حقل غيره، فمن أجود حقله يعوض.

❖ إذا خرجت نار وأصابت شوكا فاحترقت أكداس أو زرع أو حقل، فالذي أوقد الوقيد يعوض.

❖ إذا أعطى إنسان صاحبه فضة أو أمتعة للحفظ، فسرقت من بيت الإنسان فإن وجد السارق يعوض بائنين، وإن لم يوجد السارق يقدم صاحب البيت إلى الله ليحكم، هل لم يمد يده على ملك صاحبه.

❖ وإذا استعار إنسان من صاحبه شيئا فانكسر أو مات وصاحبه ليس معه يعوض، وأن كان صاحبه معه لا يعوض.. (خروج ٢٢).

---

(٢٠) اليهودية واليهودية المسيحية ص ١١٩/١٢١.

ويؤخذ على هذه العقوبات –وغيرها كثير- أنها تتحدث عن التعويض، دون بيان ما إذا كان المعتدي لا يملك ما يعوض به، كما ان التعويض لا يلتزم قاعدة مطردة، فهو تارة المثل، وتارة الضعف، وقد يصل إلى خمسة أضعاف، مع أن (التكييف القانوني) متشابه.. هذا إلى أن الأحكام ترتبط بحالات، لا بكل الحالات.. (انظر تفصيل ذلك في خروج ٢٢).

أما بالنسبة لجريمة القتل، فالأصل (لا تقتل البريء والبار) (خروج ٢٢) وإذا حدث العدوان (فلا تشفق عينك، نفس بنفس، عين بعين، سن بسن، يد بيد، رجل برجل)..(تثنية ١٩).

(كل من قتل نفسا فعلى فم شهود يقتل القاتل، ويشهد واحدا لا يشهد على نفس للموت، ولا تأخذوا فدية عن نفس القاتل المذنب للموت، بل أنه يقتل) (عدد ٣٥).

حكم صار، لا يشوبه إلا أن (ولى الدم يقتل القاتل، حين يصادفه) (عدد ٣٥) مما يساعد على مزيد من القتلى، لأنه يأخذ طابع الثأر، لا عدالة القصاص.

وأن كنا نجد في سفر (خروج) أن الكهنة هم الذين يتولون القصاص (فمن عند مذبحي تأخذه للموت) (خروج ٢١)، فتبعة التغيير تقع على أولئك الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، دون أدراك لقداسة الكلمة.

وفي حالة الخطأ: (أن دفعه بغتة بلا عداوة، أو ألقى عليه أداة ما دون تعمد، او حجرا ما مما يقتل به بلا رؤية، أسقطه عليه فمات، وهو ليس عدوا له، ولا طالبا أذنيه، تقضي الجماعة بين القاتل وولي الدم..

وتنقذ الجماعة القاتل من ولي الدم، وترده الجماعة إلى مدينة ملجئة التي هرب إليها، فيقيم هناك إلى موت الكاهن العظيم الذي مسح بالدهن المقدس.. ولكن..أن وجده ولي الدم خارج حدود مدينة ملجئة، وقتل ولي الدم القاتل، فليس له دم) (عدد ٣٥).

ومن هنا اختلط العدل بالجور، فقضاء الجماعة بين القاتل وولي الدم قد يصل إلى دية مرضية، وأبعاد القاتل علاج نفسي يدعمه الحزن العظيم على الكاهن العظيم، أما أن يلتقي ولي الدم بعد ذلك بالقاتل فيقتله دون عقاب فأمر ليس من العدالة في شيء.

حالات كثيرة تعرضها التوراة، وصور من العقاب تميل إلى العدل الرادع الذي قد يصل إلى حد القسوة.

ولكن.. مع هذا فإن أحداث إسرائيل الواردة في التوراة، كثيرا ما تخرج على ما ورد في الشريعة، فإذا كان (كل إنسان بخطيئته يقتل) (تثنية ٢٤) فماذا حدث لداود وقد قتل أوريا الحثي حتى يظفر بزوجته؟ وكيف يقتل أبشالوم بن داود أخاه أمنون، ويكون للملك حق العفو عن القاتل (صموئيل الثاني ١١ و ١٤).

ثم كيف تول الشريعة:

(لا يقتل الآباء عن الأبناء، ولا يقتل الأولاد عن الآباء) (تثنية ٢٤)

ويقول الرب:

(افتقد ذنوب الآباء في الأبناء، في الجيل الثالث والرابع من مبغضي) (خروج ٢٠).

وتاريخ بني إسرائيل حافل بالقتل الجماعي رجالا ونساء وأطفالا وبهائم وكل نسمة حية، إذا حمي غضب الرب، وحمي غضب نبي من أنبيائه، أو قائد من قادته.

واهتمام (التوراة) بحماية الأعراض الشديدة.. من يقرأ الأصحاح الثامن عشر من سفر (لاويين) يجد صورة تكاد تكون مطابقة لما أورد القرآن في سورة النساء عن المحارم، أما ما جاء في سورة النور من عقاب المعتدين على المحارم فإن روح التشريع واحدة، متمثلة في:

(لا تندس ابنتك بتعريضها للزنى، لئلا تزني الأرض، وتمتلئ الأرض رذيلة) (لاويين ١٩).

(إذا اضطجع رجل مع امرأة طامث، وكشف عورتها، عري ينبوعها، وكشفت هي ينبوع دمها، يقطعان كلاهما من شعبهما) (لاويين ٢٠).

(إذا راود عذراء لم تخطب، فاضطجع معها، يمهرها لنفسه زوجة.. أن أبي أبوها أن يعطيه أياها يزن له فضة كمهر عذراء) (خروج ٢٢)، وزاد في مكان آخر أنه إذا تزوجها (لا يقدر أن يطلقها كل أيامه).. (تثنية ٢٢).

(إذا كانت فتاة عذراء مخطوبة لرجل، فوجدها رجل في المدينة واضجع معها، فأخرجوهما كليهما إلى باب تلك المدينة، وارجموهما بالحجارة حتى يموتا، الفتاة من أجل أنها لم تصرخ في المدينة، والرجل من أجل أنه أذل امرأة صاحبه.

ولكن أن وجد الفتاة المخطوبة في الحقل، وأمسكها الرجل واضطجع معها، يموت الرجل الذي اضطجع معها وحده، لأنه (لم يكن من يخلصها) (تثنية ٢٢).

هذه الحالات -وغيرها كثير- تتسم بالعدالة، أو لا تبعد عنها.. وقد نجد مبالغة في الأحكام فيما إذا كانت الجريمة من النوع الواحد أو مع الحيوانات.

لكن ما نعيبه أن تكون هذه التشريعات في (التوراة) إلى جانب اتهام الأنبياء بهذه الجريمة الشنعاء، حتى جعلوا النبي يضطجع مع بنتيه، أو زوجة جاره، وأمنون ابن داود يعشق أخته ثامار، ويحتال حتى يخلو بها ويضطجع معها (صموئيل الثاني ١١) ولا عقاب.

وحين أخطأ شكيم مع (دنية) ابنة يعقوب، وأراد أن يصلح خطأه ويتزوج منها، فقال حمور أبو شكيم ليعقوب وبنيه:

(ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم، أعطوه إياها زوجة، وصاهروها، تعطونا بناتكم، وتأخذون لكم بناتا، وتسكنون معنا، وتكون الأرض قدامكم، اسكنوا واتجروا فيها، وتملكوا بها.

ثم قال شكيم لأبيها وإخوتها:

دعوني أجد نعمة في أعينكم، فالذي تقولون لي أعطي، كثروا على جدا مهرا وعطية، فأعطى كما تقولون لي، وأعطوني الفتاة زوجة).

(فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمور أباه بمكر) واشترطوا أن يتم ما أراد إذا اختتنوا...

وحسن القول في عيني آل حمور (واختتن كل ذكر).

(وفي اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين، أن ابني يعقوب شمعون ولاوي، أخوي دينه، أخذا كل واحد سيفه، وأتيا على المدينة بأمن، وقتلا كل ذكر، وقتلا حمور وشكيم ابنه بحد السيف، وأخذا دينه من بيت شكيم، وخرجا، ثم أتى بنو يعقوب على القتلى، ونهبوا المدينة، لأنهم نجسوا أختهم، غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه، وسبوا ونهبوا وغنموا كل ثروتهم وكل أطفالهم ونساءهم وكل ما في البيوت (تكوين ٣٤).

فإذا عرفنا أن موسى وهرون والكهنة جميعا من سلالة (لاوي) لم يغب عنا أن ما يفعله (لاوي) يصبح من شريعة موسى، وتقوم الكهنة على تنفيذه دون تساهل.. فالهدف هو إبادة الشعوب الأخرى، والاستيلاء على كل ما يملكون، دون حاجة إلى جريرة!!

بقيت الإشارة إلى العناية الكبيرة في (التوراة) بالنجاسة والطهارة إلى حد أن يصبح الأصل هو النجاسة، وتؤدي للطهارة طقوس معقدة حتى يمكن تحقيقها، بعد تقديم القرابين اللازمة.. فمثلا.

(المرأة التي يضطجع معها الرجل اضطجاع زرع يستحمان بماء، ويكونان نجسين إلى المساء) (لاويين ١٥).

(إذا مات إنسان في خيمة، فكل من دخل الخيمة، وكل من كان في الخيمة يكون نجسا سبعة أيام.

(وكل من مس على وجه الصحراء قتيلا بالسيف، أو ميتا، أو عظم إنسان، أو قبرا يكون نجسا سبعة أيام.

فيأخذون للنجس من غبار حريق ذبيح الخطية، ويجعل عليه ماء حيا في إناء، ويأخذ رجل طاهر زوفا، ويغمسها في الماء، وينضحه على الخيمة وعلى جميع الأمتعة، وعلى الأنفس الذين كانوا هناك، وعلى الذي مس العظم أو القتيل أو الميت أو القبر، ينضح الطاهر على النجس، في اليوم الثالث واليوم السابع، ويطهره في اليوم السابع، فيغسل ثيابه، ويرحض بماء، فيكون طاهرا في المساء، وأما الإنسان الذي يتنجس ولا يتطهر، فتباح تلك النفس من بين الجماعة.. وكل ما مسه النجس ينجس، والنفس التي تمس تكون نجسة إلى المساء)) (عدد ١٩).

(كل فراش يضطجع الذي له السيل يكون نجسا، وكل متاع يجلس عليه يكون نجسا، ومن مس فراشه يغسل ثيابه ويستحم بماء ويكون نجسا إلى المساء.

وإذا طهر ذو السيل من سيله يحسب له سبعة أيام لطهره، ويغسل ثيابه، ويرحض جسده بماء فيطهر، وفي اليوم الثامن يأخذ لنفسه يمامتين أو فرخي حمام، وياتي إلى أمام الرب، إلى باب خيمة الاجتماع، ويعطيهما للكاهن، فيعملهما الكاهن الواحد ذبيحة خطية، والأخر محرقة، ويكفر عنه أمام الرب من سيله) (لاويين ١٥).

أما طهر الأبرص فيكاد يصل إلى الشعوذة والدجل.. ويلاحظ أن موضوع البرص يشغل من شريعة الرب ثلاثة أصحاحات في سبع صفحات.

ولم تقتصر النجاسة على ما سبق.. فكل من مس جثة حيوان لا يؤكل والحيوانات التي لا تؤكل كل ما لا يجمع بين

الاجترار وشق الظلف- (يكون نجسا إلى المساء، ومن حمل جثتها يغسل ثيابه، ويكون نجسا إلى المساء).. (لا وبين ١١).

ويدهش المرء إذا علم أن الجمل والحصان والحمار والأرنب مما لا يؤكل، وكان الحمار وسيلة الانتقال قبل أن يعرفوا الجمل، فكيف ينجس من مسه؟

وتسأل لماذا تظل النجاسة حتى المساء، ولماذا يكسر الوعاء الخزفي، ولا يكفي معه الغسل، مع أن جودة صنعه قد تختفي معها المسام، فضلا على أنه يطلي بطلاء أملس؟

(كل قاع خزف وقع فيها منها، فكل ما فيه يتنجس، وأما هو فتكسرونه).

(التنور والموقد يهدمان) (لاويين ١١) إلا تطهرهما النار..؟

(وإذا حبلت المرأة وولدت ذكرا تكون نجسة سبعة أيام، كما في أيام طمث علتها تكون نجسة، ثم تقيم ثلاثة وثلاثين يوما في دم تطهيرها... وأن ولدت أنثى تكون نجسة أسبوعين، كما في طمثها، ثم تقيم ستة وستين يوما في دم تطهيرها) (لاويين ١٢) فلماذا تختلف النجاسة مع الذكر عنها مع الأنثى؟ وهل تختلف أيام الطمث مع المرأة الواحدة باختلاف ما تلد؟

وعلى ذكر الطمث، فأيام نظافة الحائض تبدأ في اليوم الخامس، إذا ما انقطع الدم، وأيام النظافة سبعة، ابتداء من اليوم السادس من مجيء الحيض، ثم تبدأ الطهارة، وقبل غروب الشمس لا يعده، تستحم المرأة، وتغسل الرحم جيدا، ثم تلبس ملابس بيضاء نظيفة، وتغطي سريرها بملاءة بيضاء نظيفة، وتضع قطعة من القماش أو القطن الأبيض في بيت

الرحم، فإذا لم تشاهد أثر للدم تبدأ بعد هذا اليوم أيام النظافة السبعة، وعليها أن تفحص نفسها مرتين في كل يوم من أيام النظافة السبعة، مرة في الصباح وأخرى قبل الغروب، وبعد إتمام النظافة تتوجه المرأة إلى المغطس وتجري عملية الغسل والطهارة، وذلك بأن تكون:

١-في المغطس طاهر أو نبع ماء.

٢-أن يتم الغطاس ليلا وبعد ظهور النجوم، وإذا حال دون ذلك حائل تغطس في اليوم الثامن نهارا، وتخفي ذلك عن زوجها حتى الليل.

٣-قبل الغطاس تغسل كل جسمها بماء ساخن، وخاصة الأماكن المستورة من الجسم مثل الإبطين والسرة والأنف والأذن، كما يجب عليها أن تقص أظافر اليدين والرجلين وتغسل ما بين الأصابع جيدا، كما يجب عليها أن تغسل رأسها بماء ساخن وتمشط شعرها جيدا، على ألا تختلط شعرة بأخرى وألا بطل الغطاس، كما ان عليها أن تنظف أسنانها جيدا، وتتجرد عند الغطاس من حليها.

٤-غسل الرأس قبل الغطاس لابد أن يتم نهارا قبل غروب الشمس بقليل، أو قبل ظهور النجوم، ومن ثم تتوجه إلى الغطس، ولا يجوز لها أن تأكل أو تؤدي عملا قبل الغطاس، ويحرم عليها أكل اللحم في اليوم الذي تغطس فيه ليلا، عدا السبت فأكل اللحم مباح لها.

٥-وفي الغطس يجب أن يغطي الماء كل جسمها وشعر رأسها، وإذا ظهرت شعرة فوق الماء تعتبر المرأة نجسة، وعليها أن تطلق يديها وساقيها فلا تقترب اليد من الأخرى ولا الساق من الأخرى.

٦-بعد إتمام الغطاس تتلو البركة:

(مبارك أنت يارب، الهنا، ملك العالم، الذي قدسنا بوصاياه وأوصانا بالطهارة) [٢٩].

أسئلة كثيرة حول النجاسة والطهارة تحتاج إلى دراسة نفسية لهذا الشعب المختار.. أمرد ذلك إلى الخوف أو التسامي؟ أو هو وسيلة الكهنة للسيطرة؟

حين أراد عيسى عليه السلام أن يقضي على سلطان الكهنة، قال: (ليس ما يدخل الفم ينجس الإنسان، بل ما يخرج من الفم، هو ينجس الإنسان) (متى ١٥)..

فلما ازدادت شراسة اليهود في محاربة المسيحيين، قال بولس: (ليس شيء نجسا بذاته، إلا من يحسب شيئا نجسا، فله هو نجس) (رسالة بولس إلى أهل رومية ١٤).

لعل موقف عيسى وبولس من النجاسة أشعار بأن الكهنة اتخذوا منها وسيلة قيد واعنات لتظل النفوس رهن الإحساس بالإثم، ولا تجد خلاصها، أو ما يشبه الخلاص إلا على يد الكهنة.. ومن ثم يظل سلطان الكاهن يلاحق الرعية حيثما وجدوا.

وفي نهاية هذا البحث ينبغي أن تشير إلى أن بعض رؤساء الدين الذين فسروا التوراة اقتبسوا من العهد القديم والتلمود عقائد جمعها موسى بن ميمون في ثلاث عشرة عقيدة، هي:

---

(٢١)اليهودية واليهودية المسيحية ص ١٢٢/ ١٢٣.

١-أنا أؤمن إيمانا تاما بأن الخالق تبارك اسمه موجود وخالق ومدبر كافة المخلوقات، وهو وحده صنع ويصنع كل الأعمال.

٢-أنا أؤمن إيمانا تاما بأن الخالق تبارك اسمه وحيد، وليس لوحدانيته مثيل على أي وجه، وهو وحده الهنا، كان كائن يكون.

٣-أنا أؤمن إيمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه ليس جسدا، وهو متنزه عن أعراض الجسد، وليس له شكل مطلقا.

٤-أنا أؤمن إيمانا تاما أن الخالق تبارك اسمه هو الأول وهو الأخر.

٥- أنا أؤمن إيمانا تاما أن به وحده تليق الصلاة والعبادة، ولا تليق بغيره.

٦-أنا أؤمن إيمانا تاما أن كل الأنبياء حق.

٧-أنا أؤمن إيمانا تاما أن نبوءة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقيقية، وأنه كان أبا للأنبياء الذين قبله والذين بعده.

٨-أنا أؤمن إيمانا تاما أن الشريعة الموجودة الآن بأيدينا هي المعطاة لسيدنا موسى عليه السلام.

٩- أنا أؤمن إيمانا تما أن هذه الشريعة لا تتغير، ولا تكون شريعة من لدن الخالق تبارك اسمه.

١٠-أنا أؤمن إيمانا تاما أنه عالم بكل أعمال بني البشر وأفكارهم.

١١- أنا أؤمن إيمانا تاما أنه يكافئ خيرا للذين يحفظون وصاياه، ويعاقب الذين يخالفونها.

١٢- أنا أؤمن إيمانا تاما أنه ستكون قيامة الأموات عندما تصدر إرادة من لدن الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره إلى أبد الآبدين [٣٠].

ويلاحظ على هذه العقائد أنها من صناعة موسى بن ميمون، ولا دليل عليها من التوراة، وإن كانت اكتسبت شيئا من التلمود، فهو في إنكار ما عدا اليهودية (هذه الشريعة لا تتغير، ولا تكون شريعة لدى الخالق)، وفي فرض سلطان موسى على التاريخ الإنساني كله، إذ (كان أبا للأنبياء الذين قبله والذين بعده)، وبإنكار الشريعة بعده يكون الأنبياء بعده مجرد عاملين على صيانة شريعته... ثم إن المسيح عيسى ليس إلا دعيا كاذبا ما دام الإيمان قائما- على يد موسى بن ميمون- بمجيء المسيح، ولو تأخر فسننتظره، ومن سياق (المعتقدات) لا يكون دور المسيح إلا مخلصا للأمة اليهودية على دين موسى وليس رسولا.

ثم إن العبارات التي صيغت بها المعتقدات تحمل الطابع الإسلامي (سيدنا موسى عليه السلام.. الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره) وكون موسى لا رسول بعده، ثم الأوصاف التي وصف بها الخالق سبحانه، وليس منها في التوراة والتلمود، بل والإنجيل الذي بين أيدينا.

أما ما يتصل بقيامة الأموات فقد سبق القول أن التوراة تخلو منها، وما ورد في كتب الأنبياء، فليس إلا إشارات هي صدى للثقافة الفارسية كما جاء في (أشعياء ٢٦) و (دانيال ١٢) و (الجامعة ١٢) لأنها لا تتحدث عما وراء هذه القيامة،

(٢٢) اليهودية والمسيحية ص ١١٤/١١٥.

مما قد يذهب بالقارئ مذهبا مجازيا، أو يقول أنها خطفة ثقافية من هنا، وخطفة من هناك، كما فعل موسى بن ميمون وليد الثقافة الإسلامية.

## الفرق اليهودية

كثيرة هي الفرق الدينية، واختلافاتها متشبعة، من حيث المعتقدات والنظرة إلى الكون والتعامل في داخل المجتمع اليهودي وخارجه..

*ومن أهم هذه الفرق:

### ١-الفريسيون:

من دلالة الكلمة يفهم أنهم المنعزلون، أو المنشقون.. ذلك أن أعداءهم كانوا يدعون أنفسهم الأحبار أو الربانيون، وفيما بينهم كانوا يدعون بعضهم بعضا بالرفقاء.

وقد ظهر الفريسيون لأول مرة قبل الميلاد بمائتي سنة، وتبوءوا المسرح اليهودي حتى مائتي سنة بعد الميلاد، وهم يتبعون الحاخام

عزرا Ezra والكتبة اليهود الأقدمين الذين يعتبرون عزرا أكبر معلم يهودي بعد موسى عليه السلام.

وأهم معتقدات هذه الفرقة أن الأسفار الخمسة الأولى من العهد القديم مخلوقة منذ الأزل، وكانت مدونة على الألواح المقدسة، ثم أوحيت إلى موسى.

وهذا المعتقد قد يكون ناشئا عن الاتصال بالثقافة الإسلامية التي تتحدث عن أن القران كان جملة في اللوح المحفوظ، ثم نزل إلى السماء السابعة، فالسماء الدنيا، فإلى رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام.

واعتقد الفريسيون كذلك بالبعث وقيامة صالحي الأموات، ليشتركوا في ملك المسيح الذي سيأتي آخر الزمن، وتزهدوا، ولم يؤمنوا بتقديم القرابين إلى المعابد.

وتؤمن هذه الفرقة كذلك بالتلمود، وبسلطة الحاخامات على اليهود، وعصمتهم، واعتبار أن مخافتهم هي من مخافة الله.

ومن أهم معتقداتهم الإيمان بمجيء (المسيح المنتظر)، ليعيد (ملكوت الله).. ومع ذلك كانوا- بسبب تعصبهم- الطائفة التي وقفت في وجه السيد المسيح وكانت على رأس المتآمرين به، ولم ينفكوا يدبرون له الكيد حتى حكم بصلبه.

وتتمسك هذه الفرقة بمعتقدات الأنبياء والآباء الأولين، وترفض الإيمان بالأنبياء اليهود المتأخرين.

وكان الفريسيون يكافحون في سبيل إعلاء سلطة العقيدة اليهودية، وتقويم العادات وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا.

وكانوا يدعون إلى جعل الكتاب المقدس ملكا مشاعا للجميع.. وكانوا يعلمون شعبهم في الاجتماعات الأسبوعية للكنيس اليهودي، واعظين مرشدين إلى الحقائق الدينية.

وهم يقولون: (أنه لو كتبت النجاة في الدنيا لاثنين، يجب أن يكون الفريسي أحدهما).

يقول القس (بوكس): كافح الفريسيون كفاحا مستبسلا في سبيل وضع الحياة تدريجيا تحت سلطة العقائد الدينية، فتأثرت قلوب الشعب بتعاليم الدين ونواهيه، بفضل ما بذله الفريسيون من العناية في سبيل تقويم العادات، وتطبيق الطقوس الدينية تطبيقا دقيقا، ولكن الظواهر الخارجية كانت دائما خاضعة للعقائد الكامنة.

## ٢-الصدوقيون:

قيل أن اسمهم منسوب إلى ملكي صادق، الذي (كان كاهنا لله العلي) وكان (ملك شاليم)، وبارك إبراهيم الخليل حين لقيه (وقال: مبارك إبرام من الله العلي، مالك السموات والأرض) (تكوين ١٤).. وقيل نسبة إلى صادوق الكاهن الأعظم في عهد سليمان.

وهذه الفرقة أنكرت (التلمود)، ولا تقدس (التوراة) قدسية مطلقة.

وهم ينكرون البعث واليوم الآخر لأنهم يعتقدون أن العقاب والثواب يتمان في الدنيا، وكانوا يؤمنون بحرية الاختيار، ولا يترقبون مسيحا قادما، وفي ذلك يقول انجيل (متى): (في ذلك اليوم جاء إليه صدوقيون يقولون ليس قيامة)، كما أنهم لا يؤمنون بالأرواح والملائكة، تقول (أعمال الرسل ٢٣) (لأن الصدوقيون يقولون ليس قيامة ولا ملاك ولا روح).

ويرى بعض الكتاب أن هذه الفرقة كانت من طبقة الأرستقراطيين التي كانت تحاول أن تحمي مصالحها، فمالت إلى احترام القوانين الموجودة، طالما اعترفت السلطات الحاكمة بيهوه، واحترمت ديانة اليهود، ولذلك لا يميلون إلى العنف، ولا إلى الحركات الثورية.

ولقد كان عيسى عليه السلام على اتصال بهم في بدء دعوته، ألا أنه انفصل عنهم بسبب إنكارهم البعث واليوم الآخر .. ومن ثم كانت مقاومتهم دعواته أكثر من سواهم.

*وبالمقارنة بين الفريسيين والصدوقيين نجد:

أ-أنهما تؤمنان بالتوراة.. ألا أن الصدوقيين قدموا الولاء للدولة على الولاء للأحكام الدينية، بينما الفريسيون يجعلون الولاء المطلق للدين.

ب-أن الصدوقيين يرون أن (يهوه) هو إله بني إسرائيل وحدهم، فهو إله قومي خاص بهم، مما جعلهم يميلون إلى العنف مع الأقوام سواهم.. على حين يرى الفريسيون أن يهوه إله جميع العالمين، فنزعوا إلي السلم مع غير اليهود.

ج-أن الصدوقيين- كما قلنا- أنكروا البعث واليوم الىخر، بينما صدقه الفريسيون وآمنوا به، ثمرة اتصالهم بالثقافات الدينية الأخرى، وتفتحهم العقلي.

د-أورد ابن حزم أن فرقة الصدوقيين كانت تقول أن العزيز ابن الله.

**٣-الحسديون "الاساة"**

ظهرت هذه الفرقة حوالي القرن الثاني قبل الميلاد، وتختلف عن بقية فرق اليهود اختلافا جوهريا، في عقائدها وعباداتها ونظمها وتقاليدها.

وقد ظل أتباعها يمارسون طقوسهم الدينية إلى القرن الأول الميلادي، وكانوا يحيون حياة أقرب إلى الرهبنة، ويكرهون الزواج، ويميلون إلى الاشتراكية، ويباشرون الزراعة والحرف المختلفة، ويهتمون بالغسل اليومي حرصا على الطهارة، ويحرمون نظام الرق، ويدعون إلى سلام دائم.

ويرجح أن يوحنا المعمدان كان واحدا منهم.

**٤-القراءون:**

وهم فرقة نمت بعد تدهور فرقة الفريسيين، فورثت الكثير من أتباعها.. وقد أسسها عنان بن داود في بابل، في القرن الثامن للميلاد، وهذه الفرقة لا تعترف بالتلمود.. وتؤمن بتطبيق نصوص التوراة حرفيا، وتحرم التأويل، وتتشدد في تطبيق الطقوس الدينية ومظاهرها، وتؤمن بالجبر، لا بالاختيار.

ومن أهم التشريعات التي خالف فيها عنان بن داود الأحكام المقررة عند الربانيين، تحريم زواج العم من ابنة أخيه، وزواج الخال من ابنة أخته، وسوى بين الابن والبنت في الميراث، وقرر باب الاجتهاد في فهم النصوص المقدسة.

ويعزو محرر دائرة المعارف اليهودية العامة أسباب ظهور هذه الحركة إلى عوامل ثلاثة:

أ-ظهور الخلافات بين اليهود بسبب التلمود الذي اعتبره بعضهم بدعة في الدين.

ب-تأثر اليهود الشرقيين بالنصر السياسي المدهش الذي أحرزه الإسلام في القرن السابع، والذي أقام إمبراطورية عالمية في بضع سنين.

ج-تأثر المعتقدات الإسلامية، والتقلبات السياسية، والصراع بين الفرق الإسلامية.

فتحت راية الإسلام تثقف الشباب الإسرائيلي ثقافة عربية إسلامية استطاع بفضلها المحافظة على (الإسرائيلية) والارتقاء بها في العصور الوسطى، عصور الجهالة والظلام.

وكان لفلسفة المعتزلة أثرها الكبير في العلماء الإسرائيليين الذين اتجهوا إلى إيجاد تعليل فلسفي للدين اليهودي وأحكامه، كما وسع الاعتزال شقة الخلاف بين القرائين والربانيين.

وانشعبت هذه الطائفة إلى طوائف من أشهرها طائفة بنيامين بن موسى، التي تأثرت بأفكار ابن سينا والفارابي، وطائفة الأكبرية التي اقتربت من السامرية، في عدم الاعتراف بغير أسفار موسى الخمسة.

## ٥-الكتبة:

أطلقت هذه التسمية على جماعة كانت مهمتها كتابة الشريعة، فعرفوا الكثير من المعلومات التي دونوها من الكتب المقدسة التي نسخوها، واختاروا وظيفة الوعظ الإرشاد وسيلة ارتزاق، وأطلقوا على أنفسهم اسم الحكماء، أو الآباء وكانوا يمثلون الزعامة الدينية أيام الحكم الفارسي واليوناني والروماني.

وتطورت الموسوعة اليهودية:

(وهم هيئة من المعلمين كانت مهمتهم تفسير الشريعة للشعب، وقد ابتدأ تنظيمهم مع عزرا الذي كان رئيسهم.. وهؤلاء الكتبة أول من علم التوراة، وهم واضعوا الشريعة الشفهية).

## ٦-السامريون:

فئة قليلة من اليهود، لا تعترف بغير الأسفار الخمسة من الكتاب المقدس.. وهي من بقايا من أقاموا في (شكيم) بعد اجتياح نبوخذ نصر لإسرائيل.

وذكر ابن حزم أنهم يبطلون كل نبوة في بني إسرائيل بعد موسى ويوشع، ويقولون أن مدينة القدس هي نابلس، ولا يعرفون حرمة البيت المقدس ولا يعظمونه، وهم بالشام لا يستحلون الخروج عنها.

ولقلة عددها الذي لا يتجاوز ثلاثمائة نسمة، فإن اليهود لا يعترفون بها كفرقة يهودية.

## ٧-الإصلاحيون:

قام موسى مندلسون ( ١٨٢٩-١٨٨٦) في ألمانيا بحركة اعتبرت ضربا من الإصلاح الديني الذي تأثر به كثير من يهود العالم الغربي.. وكانت الحركة ترمي إلى تغيير في المعتقدات اليهودية بما يتمشي مع واقع الحياة، فأباحت أكل الخنزير، وعدم تقديس السبت، ومالت على التخفيف من الطقوس الدينية، واستعمال اللغات الدارجة في العبادة، وأبطلت الصلاة على الموتى.

ومن أشهر مؤلفات منلسون كتابه (أ،رشليم) الذي قال فيه عمانويل كانت: (أعتقد أن هذا الكتاب إعلان لإصلاح عظيم، لا للشعب اليهودي فقط، بل للشعوب الأخرى أيضا، إذ أن الصلة بين الدين والضمير قوية جدا في اليهودية، وهي قوية قوة ما كان الإنسان ينتظرها، ولا يستطيع أحد مجاراتهم فيها).

وقد أصدر في ألمانيا سنة ١٨٥٠م صحيفة باللغة العبرية تسمى (الواعظ الأخلاقي) جعلها منبرا لدعوته، ولدعاة الإصلاح اليهودي.

وكان الهدف الرئيسي لهذه الدعوة إخراج اليهود من العزلة التقليدية والاندماج في تيار الحضارة الأوروبية بقصد التوصل إلى تقويض مقومات هذه الحضارة بعد أن تكون الريبة في مقاصد اليهود الشريرة قد زالت بعد تمام الاندماج.

ويرجع المؤرخون أصول دعوة مندلسون إلى (سباتاي زفاي- ١٦٢٦/١٦٧٦) الذي كانت حركته [٣١] في ألبانيا تحولا في الدوافع اليهودية الخفية من الدراسة المستترة إلى الانطلاق في حركة واسعة النطاق بكل متضمناتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ويعد (زفاي) عمل (جاكوب فرانك- ١٧٢٦-١٧٩١) بيولندا- من خلف قناع المسيحية الكاثوليكية- على ان يتضمن (مجد الدولة) القوة العسكرية والثورة وكل الملذات الدنيوية، وكانت تراوده فكرة تكوين الدولة اليهودية في إحدى مقاطعات بولندا.

ودعا (إسرائيل بن أليعازر- ١٧٠٠/١٧٦٠) إلى وحدانية الإله الذي يملأ مجده كل الأرض، حتى يتزود يهود الغربة بقوة تساعدهم على مقاومة كل الإغراءات المضادة لليهودية.

وهكذا ساعدت الحركات الثلاث- قبل مندلسون- على نقل اليهودية الصهيونية من سلبية التقوقع والانتظار إلى إيجابية الاندماج والحركة، التي تحولت على يد منلسن إلى تغيير في مناهج التعليم اليهودي، وإلى إنشاء مدارس (حرة) يستعاض فيها عن تدريس العبرية باللغات العصرية والرياضيات والعلوم الحديثة.

وجاء ليوبولد زونز الذي اختط – في سبيل إزالة الفواصل بين اليهودية والحضارة الغربية- نهجا آخر يقوم على دعوة اليهود إلى أن يبينوا للعالم قيمة حضارتهم وعظمتها، حتى يحظوا بالاحترام، ويسهل قبولهم في

---

(٢٣) س. زفاي تركي، ظل نشاطه بين تركيا واليونان وألبانيا، ادعى الإسلام، ليعمل تحت لوائه من أجل ‘علاء شأن اليهود، كما ادعى أنه المسيح المنتظر..

أمم العالم ونتيجة هذه الدعوة أنشئت بالأموال اليهودية مئات المجلات التي تبحث في شئون اليهود، وأقيمت معاهد عليا وكراسي لعلم اليهودية في الجامعات، وافتتحت متاحف، وأنشئت جمعيات لنشر المعارف عن اليهودية في أوسع نطاق، وحدثت محاولات لتزييف التاريخ، والسيطرة على الفكر الغربي وقيمه الأخلاقية والحضارية والاقتصادية، كخطوة على طريق السيطرة العالمية.

ومع انتعاش الحركة القومية في أوروبا وسيادة الاتجاهات العقلانية في التفكير- وجد اليهود طريقهم إلى الانتشار والتسلط، والعمل على تحقيق الذاتية اليهودية، والتأكيد على أنهم شعب الله المختار، وأن بقائهم رهن بتمسكهم بالأرض الموعودة فلسطين حيث يوجد هيكل أورشليم، وحيث يثبون منها لتحقيق ما وعد الله به نسل إبراهيم، في أرض تمتد من الفرات إلى النيل.

وربما اعتبر كتاب (روما وأورشليم) لموريتس هيس (١٨١٢/١٨٧٥) حجر الأساس لظهور المذهب الصهيوني. وقد صدر سنة ١٨٦٢ في صورة رسائل متبادلة وعليها تعليقات، وقد أهدى المؤلف كتابه إلى جميع الذين يكافحون في سبيل إعادة بعث قوميات الشعوب التي خلقت التاريخ، كما يؤمن (هيس) بأن النتيجة الحتمية لبعث الدول والقوميات ظهور الدولة اليهودية، كما ساعد (فارص سيمولنسمين ١٨٤٠/١٨٨٥) بقصصه على تأكيد أن اليهودية ليست رابطة دينية، بل هي العقيدة الدينية- مباشرة أو غير مباشرة- مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة العبرية، وكل انحراف عنها يؤدي ولا شك إلى إضعاف أواصر الترابط بين أفراد الشعب، وقد أصدر في فينا سنة ١٨٦٧م مجلة عبرية (صبح) يقول في منهجها: (لا عار إذا اعتقدنا أن نفينا يجب أن ينتهي، وأنه سيأتي اليوم الذي تحصل فيه الأسرة الإسرائيلية على وطن، مثلها مثل سائر الشعوب، ولا عار إذا تمسكنا بلغتنا القديمة التي رافقتنا طيلة أجيال السبي والنفي والتجوال).. ويقال أن (سمولنسكين) أول من عالج اليهودية علاجا قوميا في كتابه (الشعب الخالد)، إذ عالج اليهودية على أنها مذهب قومي، يعتمد على أصول

دينية وخلقية، وهو يطالب بيهودية متعلمة، تعتمد على السير قدما في النهضة العقلية مع الحرص على خلق دولة يهودية.

وأخذ عدد الصحف والمجلات العبرية يزداد تدريجيا، حتى بلغ المئات في أوروبا الغربية وفي روسيا، أما في أمريكا فقد صدرت صحف ومجلات أسبوعية وشهرية منذ سنة ١٨٧٠م وفي فلسطين عرفت الصحف العبرية منذ عام ١٨٦٣م، وفي عام ١٨٨٠ ظهرت الصحف اليومية الحديثة بفضل جهود سمولنكسين وبلوم وجوردون.

ونتيجة الاضطهاد القيصري في روسيا لليهود روجوا للشيوعية، وناصروها لكن ما لبثوا بعد نجاح الثورة البلشفية أن ركبوا ظهرها، وصاروا عبئا، وكانت النتيجة أن حد البلشفيون من نشاطهم، فانتقل النشاط إلى وارسو التي صارت مركز إصدار عدد من الصحف العبرية، فضلا عن دار نشر أسسها دافيد فريشمان.

## الأعيـــــــــــاد اليهوديـــــــة

نستطيع أن نميز بين نوعين من الأفراح والأعياد، دينيا ودنيويا.

فمن الأعياد الدنيوية ما ارتبط بتتويج الملوك أو عند النصر، ومنه ما يتعلق بالأسرة كالزواج والفطام والختان وجز الأغنام.

ومن الأعياد الدينية ما هو خاص، وما هو عام، وأن كانت النكبات التي نزلت باليهود وبخاصة على يد الأشوريين والبابليين والرومان قضت على كثير من أفراحهم وأعيادهم الخاصة.. لكن الشريعة حرصت على الأعياد الكبرى، حتى أبان السبي والعودة، ولم يكتف الإسرائيليون بها، بل أضافوا غليها أعيادا أخرى.

## ١-عيد الفصح:

وهو عيد قديم، عرفه الإسرائيليون في البادية، وتذكر بعض المصادر التي وصلتنا (خروج ١٢ ي ٢١) أن احتفال بعض الإسرائيليين به كان بمناسبة الخروج من مصر، بقيادة موسى عليه السلام.. وقد يزيد هذا العيد أهمية أن اليهود يعتقدون أن (الرب) قاد اليهود بنفسه، وأخرجهم من نير العبودية. ولأن الخروج كان بصورة اضطرارية، غذ أعجلهم الخوف من اللحاق لهم، فقد أعدوا خبزهم على عجل فطيرا، دون أن يختمر.. ولهذا أصبح على اليهود أن يأكلوا الخبز الفطير في الأسبوع الثالث من شهر نيسان، ويقيمون احتفالات مقدسة في بداية العيد ونهايته، حيث يتلون الأدعية، ويقيمون الصلوات، ويحرقون القرابين.

وهناك رواية أخرى تقول إن الاحتفال بهذا العيد كان يقع في فصل الربيع، إذ يختار يوم اكتمال القمر وينحرون الضحايا ليلا وتشوى الأضحية وتؤكل لوقتها مع الفطير، أما ما تبقى من الأضحية فيحرق. (خروج ١٢ تثنية ١٦).. ألا أن العادات المتبعة عن الاحتفال بهذا العيد لا تشير إلى الخروج من مصر، كما ان صفات العيد ليست تاريخية، بل متصلة بالطبيعة، وبخاصة فصل الربيع واكتمال القمر...

ويمكن القول أن هذا العيد عرف قبل أن يعرف الإسرائيليون (يهوه)، في عهد كانوا يقدسون فيه الأرواح الشريرة، إذ تذبح الأضاحي، ويؤتى بدمها فيرش في أماكن مختلفة تهدئة لغضب الأرواح الشريرة، فلما كانت عبادة (يهوه) احتفظوا باحتفالاتهم بهذا العيد، واخذ الاحتفال به يتطور مع تطور العقيدة والحياة.

والمزمور ١٠٧ خاص بعيد الفصح، إذ يبدأ الإسرائيلي تلاوته في صلاة المساء بعد تمام التضحية والأكل.

وفي مرحلة من حياة (القوم) خلطوا بين صنع الفطير وتقديم القربان ومعاداة غير اليهود وبخاصة المسيحيين، فكانوا يعجنون الفطير بدماء أحد

ضحاياهم.. لا سيما في عيد الفصح وعيد أستير ومراسم الختان، واستخدموا هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم.. وقد جاء في (أشعياء/٥٧) : (أما أنتم أولاد المعصية، نسل الكذب، المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء، القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعاقل؟!

وقد حدث في ٦ فبراير سنة ١٨٤٠ أن اختفى أحد الرهبان الكاثوليك من الرعايا الإيطاليين بدمشق واسمه "توما"، واختفى خادمه توما كما هي عادتهم، وقد عثر على جثته وقد قطعت بصورة غير مألوفة لإخراج الدم منها، ولما قام شريف باشا حاكم دمشق بتفتيش حارات اليهود، وألقى القبض على سبعة منهم، اعترف حلاق حارة اليهود بأنه هو الذي قام بذبح الراهب،وأقر بأن كل الذي جرى إنما يتمشي مع ما جاء في التلمود عن ضرورة عجن الفطيرة بدم مسيحي أو مسلم، واعترف بأنه قام بذبح الخادم.

وبعدها بيوم عثر اليونانيون في جزيرة رودس على واحد منهم مشنوقا بعد أن صفى دمه.

وقد أثار هذان الحادثان ثائرة الناس فهاجموا اليهود في حاراتهم ومعابدهم وحرقوا وهدموا المعابد في دمشق وبيروت وأزمير.

وإذا كان الحادثان قد عملا على مثار فتنة واضطرابات عدوانية فليس شك في أن أحداثا كثيرة مماثلة أهملها التاريخ، أو أحكم اليهود تدبيرها، بحيث لم يقف أصحاب الضحايا عندها.

والمؤرخ اليهودي القديم يوسفوس (ت سنة ٩٥م) يذكر أنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجن فطائرهم، بل كانوا كذلك قطعا من لحومهم.

**٢-عيد الهلال:**

وفيه تنتفخ الأبواق إعلانا عن ظهور الهلال الجديد الذي قد يعد في مرحلة من مراحل معتقداتهم إلها... ويتبارى اليهود في سرعة أخبار الكهنة برؤيته.. وبعدها يشعل اليهود النيران على جبال الزيتون لإعلام الآخرين، وتقام وليمة في قصر الملك، كما كانت العائلات والبطون والأسباط تختار هذا اليوم لاجتماعهم، وتقدم القرابين في الأماكن المقدسة من الملك والشعب.. وقد نص العهد القديم على تقديس هذا اليوم إذ جاء (وفي رءوس شهوركم تقربون محرقة للرب، ثورين ابني بقر وكبشا واحدا وسبعة خراف حولية صحيحة) (عدد ٢٨و ٢٩)، ويدعو المصلون، (الهنا وإله آبائنا، جدد لنا هذا الشهر بخير وفرح وسرور وخلاص وتعزية وقوت وإعالة وغفران الخطيئة وعفو عن الإثم، وليكن هذا الشهر نهاية وحدا لكل ضيقاتنا، وابتداء وأول فداء أنفسنا، لأنك اخترت شعبك إسرائيل من بين جميع الأمم، وفرضت عليهم فرائض رءوس شهور).

ولا يكتفي الإسرائيليون بتقديس الهلال، بل القمر أيضا، ففي إحدى ليالي الأسبوع الثاني من شهر تتلى صلاة أخرى، تنتهي بأن يقفز المصلون ويقولون: (كما أننا نحاول أن نقفز نحوك ولا يمكننا أن نلمسك، هكذا ليت كل الذين يقفزون نحونا ليضروا بنا لا يقدرون أن يلمسونا، لتقع عليهم الهيبة والرعب بعظمة ذراعك، يصمتون كالحجر ، يصمتون بعظمة ذراعك، الرعب والهيبة عليهم تقع).

**٣-السبت:**

خطيئة عظيمة عدم مراعاة حرمة هذا اليوم، بحيث لا ينشغل فيه الإنسان اليهودي بعمل.. ويدعي أن الوصايا العشر تقدس هذا اليوم، وأن كانت عبارة التوراة لا تفيد هذا، إذ تقول: (أما اليوم السابع ففيه سبت للرب إلهك).. فأي يوم هو ذلك السابع، ما دام لا دليل على الأول.

وفي هذا اليوم يتشبه اليهود بالرب في الانقطاع عن العمل.

جاء في سفر (خروج ص ٣١): (تحفظون السبت، لأنه مقدس لكم. من دنسه يقتل قتلا، أن من صنع فيه عملا تقطع تلك النفس من بين شعبها، ستة أيام يصنع عمل، وأما اليوم السابع ففيه سبت عطلة مقدس للرب، كل من صنع عملا في يوم السبت يقتل قتلا.. لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء، وفي اليوم السابع استراح وتنفس).

يقول الدكتور فؤاد حسنين على: "كان السبت يوم راحة، يخصص للأسفار والرحلات، وبعد السبي أخرجت اليهودية يوم السبت عن معناه الأصلي، ونظرت إليه نظرة دينية خالصة، إذ كان من اليهود من يفضل أن يقتل من أن يدافع عن نفسه يوم السبت.

ويرى ول ديورانت أن اليهود تأثروا في هذا اليوم بالبابليين الذين كانوا يطلقون على يوم الصيام (شبتو) ويقدسونه [٣٢].

**٤-يوم التكفير والغفران:**

وتطلب المغفرة فيه عن الذنوب التي فعلها اليهود في صلاة جماعية يؤديها الكهنة.. ويمكن القيام بالصلاة في أي وقت من السنة... لكن يوم التكفير يتميز بتمسك اليهود فيه، إذ يمضون اليوم كله في الصلاة والصيام، ويسبقه تسعة أيام من التوبة عما فعلوا طول العام من آثام... وهذا اليوم يكون في الشهر السابع من السنة اليهودية.

**٥-الحج على بيت المقدس:**

على اليهودي أن يحج إلى بيت المقدس مرتين كل عام.. يقضي أسبوعا في كل مرة. مشتركا في احتفالات يقودها الكهنة، لتكون الفرصة متاحة فيتعرف يهود العالم بعضهم ببعض.

---

(٢٤) اليهودية واليهودية المسيحية ص ٦٥/٦٦.

ويرى الدكتور فؤاد حسنين على أن الإسرائيليين أخذوا عن الكنعانيين كثيرا من أعيادهم الزراعية وحاولوا إرجاعها إلى تاريخهم القديم.. ومن هذه الأعياد عيد الشعير، حيث يصنع فيه الفطير.. وبعد نحو سبعة أسابيع نجد عيد الحصاد، ثم عيد جمع العنب والفواكه، ويسمى عيد المظال.. وارتبط بهذه الأعياد تقديس أبكار الحيوان والنباتات والفواكه [٣٣].

وبعد السبي ظهر عيد الفوريم، وكان ذلك في ١٤/١٥ آذار اعتمادا على القصة الواردة في سفر أستير، وهو احتفال بذكرى القضاء على أعداء اليهود في فارس أيام الملك أحشويرش.

وكذلك احتفلوا بذكرى انتصار المكابيين على اليونان وتطهير المعبد من الطقوس الوثنية، ويحتفل بهذا العيد في ٢٥ نوفمبر.

---

(٢٥) اليهودية واليهودية المسيحية ص ٩٧/٦٦.